أسئلة إبراهيم – عليه السلام – لأبيه وقومه في القرآن الكريم
دراسة تحليلية

Prophet Ibrahim's Questions to his Father and his People
In the Noble Quran

إعداد:

د. محمد أديب محمد شكور محمود امرير

الأستاذ المشارك بكلية العلوم والآداب بجامعة جدة – فرع الكامل

المستخلص

يعدّ السؤال من الأساليب المهمة في عملية الحوار والإقناع بشكل عام، وكثيرًا ما نحتاج إلى فنِّ السُّؤال من أجل الدعوة إلى الله تعالى، والدفاع عن عقيدتنا ومبادئ ديننا الحنيف.

وقد حبا الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام الحكمة والحجة الداحضة، والأسلوب العالي في الحوار، وكان للسؤال حضور واضح ومؤثر جدًّا.

وجاء البحث لإيضاح المعاني التي يمكن أن تخرج إليها الأسئلة التي حاجّ إبراهيم عليه السلام بها أباه وقومه، وتأثيرها عليهم في كل موقف من المواقف؛ لنفيد منها بطرح الأسئلة أثناء الحوارات أو محاولات الإقناع للغير.

واتبعت في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي لجميع أسئلة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، مقسِّمًا الآيات التي جاءت فيها تلك الأسئلة على شكل مباحث، كل مبحث يشمل الأسئلة التي جاءت في سورة من سور القرآن الكريم، واستخرجت الهدايات التي يرشد إليها كل سؤال من هذه الأسئلة.

ومن أهم النتائج:

يخرج السؤال إلى أكثر من معنى في آن واحد، وتتنوع طريقة السؤال من شخص لآخر ومن وقت لآخر، السؤال ليس فقط للاستفهام، فقد يكون للتقريع والتوبيخ والتقرير، .... وقد يحذف السائل جملة أو كلمة من السؤال لدلالة معينة، وأحيانًا تترك نهاية السؤال مفتوحة ليترك للمسؤول استنتاج النهاية.

ومن التوصيات: دراسة ما تبقى من أسئلة إبراهيم عليه السلام، كأسئلته مع رب العزة، ودراسة أسئلة الأنبياء عليهم السلام إما بشكل منفرد أو بشكل عام، والإفادة من فن السؤال في القرآن الكريم في مهارات الاتصال والتواصل.

والحمد لله رب العالمين، وصلوات ربي وسلامه على سيد المرسلين.

الكلمات المفتاحية: فن السؤال، أسئلة إبراهيم، مهارات الاتصال، محمد أديب، حوار إبراهيم.

Abstract

Asking questions is regarded as one of the important methods in the process of dialogue and persuasion in general, and often, we need the art of asking for calling to Islam and defending our faith and the true principles of our religion. Allah has bestowed Prophet Ibrahim with wisdom and conclusive argument, and strong style of dialogue. This approach had a very clear and influential presence.

The research came to clarify the meanings that can come out of the questions that Ibrahim had challenged his father and his people, and their impact on them in every position; to let us know how to ask questions during dialogues or attempts to persuade others.

In the research, the descriptive analytical method was applied to all the questions of Ibrahim to his father and his people. Dividing the verses in which these questions were presented in the form of subchapters. Each subchapter includes the questions that came in a Surat from Surahs of the Noble Quran, and extracting the guidance which every questions directs to.

The most important results are:

The process of asking could have more than one meaning at the same time, and the method of asking varies from one person to another and from time to time, the inquiry is not only for the question, it may be for scolding , reprimanding and approving, ... The one who asks may delete a sentence or a word from the question for a certain semantic purpose, and sometimes the ending of the question is left open to let the one who has been asked to conclude the end.

Among the recommendations: To investigate the remaining questions of Ibrahim peace be upon him, such as his questions with the Almighty Allah, to study the questions of the prophets peace be upon them either individually or in general, and to benefit from the art of asking in the Noble Quran in communication skills.

Keywords: Art of the Question, Ibrahim’s Questions, Communication Skills, Muhammad Adeeb, Ibrahim’s Dialogue.

المقدمة

الحمدُ للهِ وحدَه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على منْ لا نبيَّ بعدَه، وبعد:

فمن فضل الله -تعالى-على الإنسان المسلم أنْ يسخرَه لخدمة كتابِه الكريم، ويجعله من أهل الخيرية التي ذكرها الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم-بقوله: "خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه"[(١)]، ومن هنا جاء اهتمامي بكتاب الله -تعالى-وتفسيره وعلومه، علّني أكون منهم.

وتتشعب دراسة هذا الكتاب العظيم باتجاهات متعددة، وطرق مختلفة، فهو الكتاب الذي لا ينضبُ عطاؤه، وكلٌّ يخوض غمارَ جزئية معينة منه، ليفيد منها ويُفيد.

ويعدُّ السُّؤالُ منَ الأساليب المهمَّةِ جدًّا في عمليةِ الدَّعوةِ إلى الله —تعالى-، والمحاورة والإقناع، إذ إنَّه منَ الفنونِ التي نحتاجُها في زمنِنا هذا؛ لأنَّ الأفكارَ الدخيلةَ أصبحت كثيرةً ومتنوِّعةً، وهي تداهم مجتمعَنا، وشبابنا خاصَّة بكل أطيافهم واتجاهاتهم، فنحتاجُ إلى تحصينهم ومحاورتهم؛ لنردَّ عنهم تلك الأفكار، ونُقنعَهم بما نعتقدُ بأنها أفكارٌ صحيحةٌ نابعةٌ من كتابِ الله -تعالى-وسنةِ رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

أهميةُ الموضوع وسببُ اختياره:

١ — السُّؤالُ منَ الفنونِ المهمَّةِ في عمليَّةِ الحوارِ، والتَّحدُّثِ، والتواصل التي استعملها القرآن الكريم بأشكال مختلفةٍ وطرقٍ متعدِّدة.

٢ — الرغبةُ في الاطلاع على بلاغةِ القرآن الكريم في استخدامِ السؤالِ، وأساليب توجيهه، الإفادة منها.

٣ — منحَ اللهُ —تعالى-سيدَنا إبراهيم -عليه السَّلام-الحجَّةَ الدَّاحضةَ، والبرهانَ السَّاطعَ في المحاجَّة، ومن هذه الحجج السؤال.

أهداف البحث:

١ — طلبُ رضاءِ الله —تعالى-والدخول في أهل الخيرية من خلالِ تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه.

٢ — التعرُّفُ على أسلوبِ سيدِنا إبراهيم -عليه السَّلام-في استخدام السُّؤالِ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ١٩٢/٦ (٥٠٢٧).

٣ – إرفادُ المكتبةِ الإسلامية ببحثٍ يتحدَّثُ عن جزئيَّةٍ مهمة من طريقةِ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–في الحوار.

٤ – إيضاحُ المعاني التي يمكن أنْ يخرجَ إليها السُّؤالُ في قصَّةِ إبراهيم –عليه السلام–أثناء توجيهه لأبيه وقومه.

منهج البحث:

– اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي، إذ تتبعت الأسئلة التي ألقاها إبراهيم على أبيه وقومه في القرآن الكريم، ثم قمت بتحليل هذه الأسئلة واستخراج الهدايات منها.

طريقة العمل في البحث:

١ –جمعت الآيات القرآنية التي تضمنت أسئلة إبراهيم –عليه السلام–لأبيه وقومه.

٢ – رتبت الآيات في كل سورة جاءت بها محاورة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–على شكل مباحث، كل مبحث يشمل الآيات التي ذُكر فيها سؤال سيدنا إبراهيم –عليه السلام–لأبيه وقومه.

٣ – عزوتُ الآياتِ إلى موضعها في القرآن الكريم بجوار الآية، بذكرِ اسمِ السُّورةِ ورقمِ الآية بين معقوفتين.

٤ – اعتمدتُ على كتبِ التفسيرِ واللغة والبلاغة وغيرها في ذكر معنى السَّؤال ومفهومه وخروجه إلى معنى آخر غير الاستفهام.

٥ – استخرجت الهدايات من السؤال في نهاية الحديث عنه.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بين يدي من مراجع بعد البحث، من أفرد الحديث عن أسئلة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، ولكن هناك العديد من الدراسات التي تحدثت عن سيرة أبينا إبراهيم عليه السلام وأسلوبه في خطابه لأبيه وقومه، وتنوعت هذه الدراسات على أشكال متعددة، وقد اخترت منها ما يأتي:

أولاً – الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، إعداد الطالبة: سعدية لكحل، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

تحدث فيها عن العلاقة بين الخطاب القرآن والخطاب الحجاجي، لما له من دور فعال في إقناع الآخرين والتأثير في المتلقي على مستوى سلوكه أو على مستوى معتقداته وقناعاته.

وذكر خلال دراسته عملية الاستدراج بالسؤال، مقدمًا لذلك مثالاً ما جاء في سورة الأنبياء محاورًا أباه وقومه، ومستدرجًا لهم عن طريق السؤال للوصول إلى وحدانية الله تعالى، بشرح مقتضب بسيط متوافق مع طريقة دراسته وهدفه.

وهذا مختلف مع دراستي الاستقصائية لأسئلة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه في كل القرآن الكريم، وبهذا تختلف الدراستان اختلافًا كليًا.

ثانيًا – الحوار في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، دروس ودلالات، أ.د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، وهو بحث مقدم لمؤتمر الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

كان من ضمن البحث حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه ومع قومه، بشكل مقتضب موجز متوافق مع هدف البحث، ومن ضمن الأساليب التي استعملها إبراهيم عليه السلام، أسلوب السؤال، وما الفائدة منه وأثره في نفس المخاطب، من غير أن يتطرق لخروج السؤال إلى معان أخرى غير الاستفهام.

وتختلف عن دراستي بأنها ضمن حديثه عن الحوار، دون أن يخوض في غمار الأسئلة وأنواعها وهداياتها.

ثالثًا – الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام – مقارنة تداولية، إعداد الطالب: بوصلاح فايزة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، السانيا.

تحدث فيها عن بعض الأسئلة والإجابة عنها بشكل مختصر، متماش مع غرضه في كونه جزءًا من عملية الإقناع.

وهذا مختلف مع دراستي إذ هو لم يتطرق إلاّ لبعض الأسئلة كأمثلة لما يريد، ولم يتعقب كل أسئلة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم لأبيه وقومه كما فعلت في دراستي، والهدايات التي توصلت إليها.

خطة البحث:

تشتمل على مقدمة وستة مباحث وخاتمة، وهي على الشكل الآتي:

المقدمة: وتشمل: أهمية البحث وسبب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث وخطة البحث.

المبحث الأول: ماهية السؤال في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم، وفوائده في الحوار، ويتكون من:

- تعريف السؤال لغة واصطلاحًا.
- السؤال في القرآن الكريم.
- فوائد السؤال في الحوار.

المبحث الثاني: أسئلة إبراهيم –عليه السلام–في سورة الأنعام.

المبحث الثالث: أسئلة إبراهيم –عليه السلام–في سورة مريم.

المبحث الرابع: أسئلة إبراهيم –عليه السلام–في سورة الأنبياء.

المبحث الخامس: أسئلة إبراهيم –عليه السلام–في سورة الشعراء

المبحث السادس: أسئلة إبراهيم –عليه السلام–في سورة الصافات.

الخاتمة: وتتضمن: النتائج والتوصيات.

وأسأل الله –تعالى–أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتب فيه النفع.

المبحث الأول: ماهية السؤال في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم وفوائده في الحوار

أولاً -السُّؤالُ لغةً واصطلاحًا:

السُّؤال لغةً:

مأخوذٌ من فعلٍ ثلاثيٍّ، جعله بعضهم مهموزًا وهو: سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤالاً ومَسألةً، وبعضُهم جعله غيرَ مهموزٍ، أي: معتلَّ الوسطِ، سِالَ يَسالُ سُوالاً ومَسالةً فهو مسولٌ، على وزنِ خافَ يَخافُ مخافةً فهو مَخوفٌ، وهما لغتان من لغات العرب [١].

وسألتُه حقِّي أسألُه: طلبتُه منه، وسألتُه عنِ الشَّيء استخبرتُه عنه [٢]، والسَّائلُ: الطَّالبُ [٣]

ويدورُ معنى سَأَلَ حولَ المعاني الآتية:

فنقول: سألَه عن كذا وبكذا: استخبَرَه عنه، وطلبَ منه معرفتَه، وسألَه عن كذا: حاسبَه عليه وآخذَه به، وسألَه الشَّيءِ: طلبَه منه، وسألَه الوعدَ: طلبَ وفاءَه وإنجازَه، وسألَه: طلبَ معروفَه وإحسانَه، وسألَه بالله: أقسمَ عليه أنْ يفعلَ [٤].

وخلاصةُ القول في المعنى اللُّغويِّ للسُّؤالِ هو: أنَّ السُّؤالَ طلبُ المعرفةِ، أو الاستخبارُ عن شيءٍ، أو طلبُ عطاءٍ.

السؤالُ اصطلاحًا:

يقول الرَّاغب في كتابه المفردات في غريب القرآن: "السُّؤَالُ: استدعاءُ معرفةٍ، أو ما يؤدِّي إلى المعرفةِ، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يؤدِّي إلى المال، فاستدعاءُ المعرفةِ جوابُه على اللِّسان، واليدُ خليفةٌ له بالكتابةِ، أو الإشارةِ، واستدعاءُ المالِ جوابُه على اليدِ، واللِّسانُ خليفةٌ لها إمّا بوعدٍ، أو بردٍّ.

إنْ قيل: كيف يصحُّ أنْ يُقالَ: السُّؤالُ يكون للمعرفةِ، ومعلومٌ أنَّ الله —تعالى-: يَسْأَلُ عبادَه نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟ قيل: إنّ ذلك سُؤَالٌ لتعريفِ القوم، وتبكيتهم لا لتعريفِ الله —تعالى-، فإنَّه علّامُ الغيوبِ، فليس يَخرجُ عن كونِه سؤالاً عن المعرفةِ، والسُّؤَالُ للمعرفةِ يكون تارةً للاستعلامِ، وتارةً للتّبكيت، كقوله —تعالى-

---

(١) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت، دار صادر) ١١: ٣١٨و٣١٩.

(٢) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب" ١١/٣١٩.

(٣) المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ٢: ٣٢٧.

(٤) ينظر: محمد بن محمد الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". (بيروت، دار الفكر) ٧: ٣٦٥و٣٦٦.

: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[التكوير:٨]، ولتعرِّفَ الْمَسْؤُولِ، والسُّؤَالُ إذا كان للتَّعريفِ تعدّى إلى المفعول الثاني تارةً بنفسه، وتارة بالجارِّ، تقول: سألتُه كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف:٨٣]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال:١]، وقال –تعالى–: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾[البقرة/ ١٨٦]، وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]، وإذا كان السّؤال لاستدعاء مالٍ فإنه يتعدّى بنفسه، أو بمن، نحو: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة:١٠]، وقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢]" [١].

الرابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هو أن المعنى الاصطلاحي فصّل القول، وتناول معنى السؤال بطريقة شمولية وبيان أكثر، أما المعنى اللغوي فقد اختصر وأوجز القول وأجمل.

ثانيًا -السُّؤالُ في القرآنِ الكريمِ:

ورد السؤال في القرآن الكريم على أنواع عديدة، نجملها فيما يأتي [٢]:

١ – السُّؤالُ الاستفهاميُّ: وهو أن يُستفهَم عن شيءٍ لم يتقدَّم له به علمٌ حتى يَحصلَ به علمٌ [٣]. ومن أمثلتِه قولُه –تعالى–: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، وقوله –تعالى–: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة:٢١٥].

٢ – السُّؤالُ الإنكاريُّ: وهو ما يُنكَرُ على المخاطَب المستَفْهَمَ عنه.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله –تعالى–: "﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥]، وقوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾[القلم:٤٠]

٣ – السُّؤالُ التَّقريريُّ: وهو حمل المخاطَبِ على الإقرارِ والاعترافِ بأمرٍ قد استقرَّ عنده.

---

(١) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان الداودي، (دمشق، دار الفكر، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٢هـ) ٤٣٧–٤٣٨.

(٢) ينظر: وردة مصطفى كحيل، "السؤال في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)". (رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية في غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٠٠هـ–٢٠٠٩م)، ١٤–٢٣.

(٣) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان". (القاهرة، مكتبة القرآن عابدين، ١٩٩٤م)، ١٦١.

ومن أمثلته قوله -تعالى-: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت:٦١]، وقوله -تعالى-: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨].

٤ – السؤال التوبيخي: جعله بعضُ العلماءِ من قبيلِ الإنكارِ، إلا أنَّ الأوَّلَ إنكارُ إبطالٍ وهذا إنكارُ توبيخٍ، والمعنى: أنَّ ما بعده واقع جديرٌ أنْ يُنفَى، فالنفي هنا قصرٌ، والإثباتُ قصرين، ويُعبَرُ عن ذلك بالتَّقريعِ أيضًا"[1]. ومن أمثلته قوله -تعالى-: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ [البقرة:٢١١]، وقوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[التكوير:٨-٩].

٥ – السُّؤالُ الطَّلبيُّ: وهو جزء منَ الجملةِ الإنشائيَّةِ التي لا يحتملُ معناها الصِّدقَ والكذبَ، وهي نوعان:

أ – طلبيةٌ: كالأمرِ والنَّهيِ والتَّمنِّي، والتَّرجِّي، ... .

ب – غير الطلبية: كالقسمِ، والمدحِ، والذَّمِ، ... .

ومن الأمثلة على ذلك قوله -تعالى-: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾[البقرة:١٠٨]، وقوله -تعالى-: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء:١٥٣].

ثالثًا -فوائد السؤال:

للسؤال فوائد جمة نذكر منها ما يأتي [2]:

١ – اكتسابُ معرفةٍ وازديادُ علمٍ: قال الله -تعالى-: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

٢ – إزالةُ شكٍّ، ودفعُ ريبة: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس:٩٤].

٣ – استشهادٌ على موقفٍ وتعزيزٌ له: قال الله -تعالى-:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ [الإسراء:١٠١].

٤ – التَّعظيمُ والإجلالُ: قال الله -تعالى-: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٩].

٥ – التَّبكيتُ والتَّوبيخُ: قال الله -تعالى-: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

(١) ينظر: أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها". (بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٠): ١١٥.

(٢) ينظر: كحيل، "السؤال في ضوء القرآن الكريم"، ١١٢-١١٤.

بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٣].

٦ – التَّذكيرُ والاعتبارُ: قال الله –تعالى-: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٣].

٧-التَّحدِّي: قال جل وعز: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٣].

٨ – تنبيهُ الغافلِ كي لا يقعَ في الخطأ: قال سبحانه: ﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة:١٠٨].

٩ – السّخريَةُ والتَّهكُّمُ: قال جلَّ جلالُه: ﴿ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾[القلم: ٤٠].

المبحث الثاني: أسئلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في سورة الأنعام

أعطى الله –تبارك وتعالى–نبيَّهُ إبراهيمَ –عليه السَّلام–قوةً في الحِجاج، وآتاه حجَّةً داحضةً تساعدُه في الدَّعوة إلى الله –تعالى، فقال –تعالى-: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وللمحاجَّةِ والمحاورَةِ فنونٌ ومَهاراتٌ كثيرةٌ، من أهمِّها: مهارةُ السُّؤالِ، وطريقةُ طرحه، وقد جاء في القرآن الكريم أسئلةٌ كثيرة متنوِّعةٌ، منها ما هو على لسان أبينا إبراهيم عليه السلام، فجاء أولها في سورة الأنعام، وهي:

١ ـ **قال الله تعالى:** ﴿ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤]

ابتدأ إبراهيم –عليه السلام– هذه المحاجة أو الحوار بطرح سؤالٍ على أبيه، وهذا ما يسمِّيه بعضُهم ببراعة الاستهلال[1]؛ ليجذب المقابل إليه، ويجعلَه يُصغي إلى كلامِه اللَّاحقِ، والسياق هنا يرسم مشهدًا رائعًا في هذه الآيات، فهو مشهدُ الفطرةِ، التي تُنكرُ تصوُّراتِ الجاهلية في الأصنام، وتستنكرُها، مشهدٌ ينفض خُرافةً عشعشت في عقولٍ خاويةٍ، خرافةِ تقليدِ الآباء حتى وإن كانوا على خطأ وضلالٍ، وهنا يحاكي إبراهيم –عليه السلام– الفطرةَ السَّليمةِ التي تُنكرُ عبادةَ ما لا يسمع ولا يبصر، تنكر أنْ تكونَ هذه الأصنامُ التي يعبدونها آلهةً، فهي لا تخلقُ، ولا ترزقُ، ولا تُجيبُ داعيًا،

(١) براعة الاستهلال: وهو أن يتأنق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها، وأرقها، وأسلسها، وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحها مبنى، وأوضحها معنىً، وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير المُلبِس والذي لا يناسب. ينظر: علي بن معصوم المدني، "أنوار الربيع في أنواع البديع". تحقيق: شاكر هادي شكر (ط١، النجف، مطبعة النعمان، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، ١: ٣٤.

فهذا هو الضَّلالُ البيِّنُ الواضحُ [1].

يقول الطاهر ابن عاشور: والظَّاهرُ أنَّ المحكيَّ في هذه الآية موقفٌ من مواقفِ إبراهيم مع أبيه، وهو موقف غِلظة، فيتعيَّنُ أنَّه كان عندما أظهرَ أبوه تصلُّبًا في الشِّركِ، وهو ما كان بعدَ أنْ قال أبوه:﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، وهو غيرُ الموقفِ الذي خاطبه فيه بقوله:﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[مريم: ٤٢][2].

يُلقي إبراهيم –عليه السلام– سؤالَه على أبيه، وهو لا يريدُ منه إجابةً عليه، فجاء بصيغة الاستفهام هذه (أتتخذ) وهو استفهام إنكاري وتوبيخي[3]، ويبدو أنه موقفٌ متأخِّرٌ، وليس أولَ موقفٍ يقفُه مع أبيه، إذْ في هذا الموقف هجومٌ صارخٌ واضحٌ؛ لما فيه من دلالةِ توبيخٍ على ما هو عليه من عبادةِ غيرِ الله –تعالى– والإصرار عليها، وذلك بإجابتِه على السُّؤالِ مباشرةً بقوله –عليه السلام–: ﴿ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾، مما يدلُّ على أنَّ السُّؤالَ هنا ليس الغرضُ منه الاستفهامَ الحقيقيَّ، وإنما الغرضُ منه معنًى بلاغيٌّ آخر، وهو كما قال المفسرون: الإنكار والتوبيخ.

لماذا بدأ محاورتَه بهذا العنف والغلظةِ في الطرح؟ وهل في ذلك منافاةٌ للأدبِ مع أبيه؟

أولاً: إبراهيم –عليه السلام–أرادَ وصفَ الواقعِ الذي يعيشُه والدُه وقومه، إذ في الدَّعوة إلى الله –تعالى– لا يوجد محاباةٌ أو مجاملاتٌ تُفهم بغير مظهرها من مهادنةٍ وموادعةٍ، وبخاصَّةٍ إذا لم تكنِ هي المحاولةَ الأولى، ثمَّ إنَّه وجدَ تعنُّتًا وتشدُّدًا ممَّن يدعوه، وأساليبُ الدَّعوةِ مختلفةٌ ومتنوِّعةٌ، والله يقول: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ويقول جل جلاله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والحكمةُ: هي الإصابةُ في الأقوالِ والأفعالِ، ووضعُ كلِّ شيءٍ في موضعِه [4]، وقال أبو بكر

(١) ينظر: سيد قطب، "في ظلال القرآن". (ط١٧، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ)، ٢: ١١٣٨، بشيء من التصرف والتحوير.

(٢) محمد الطاهر بن محمد عاشور التونسي، "التحرير والتنوير". (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ٧: ٣١٢.

(٣) ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٢: ٣٩، ومحمد بن يوسف بن حيان، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٤: ٥٦٢.

(٤) د. سعيد بن علي القحطاني، "مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله –تعالى–في ضوء الكتاب والسنة" (الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان): ١٣.

بن دريد: "كلُّ كلمةٍ وعظتْكَ وزجرتْك أو دعتْك إلى مَكرمةٍ، أو نهتك عن قبيحٍ فهي حكمةٌ وحِكَم"(١). وعلى هذا فمنَ الحكمةِ وحسنِها أنْ تُعاملِ مَن تدعوه حسبَ حالتِه وطبيعتِه، وحسب تعنُّتِه وتصلُّبِه، فتتدرج معه إلى أنْ تصلَ إلى ما تريد منه، ومنه قول المتنبي(٢):

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ فِي الْعُلَا ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى.

وهنا إبراهيم –عليه السلام–بعد أنْ خاطبه في المحاجَّةِ الأولى في سورة مريم بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾[مريم: ٤٢]، فوجد منه الصدَّ والقساوةَ والتعنُّتَ، انتقل إلى مرحلةٍ أعلى وأشدّ، فطرحَ عليه هذا السؤالَ مع إجابته، منكرًا ومقبِّحًا له على عبادة الأصنام التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

الهداية من هذا السؤال

أ – طرح الأسئلةِ يكون بالتدرُّج من الأدنى إلى الأعلى، ومن الأسهلِ إلى الأصعبِ والأقوى، وهكذا.

ب – تختلفُ قوَّةُ السُّؤالِ من موضع لآخرَ، فمرَّة يكون باللِّينِ، وأخرى بالشِّدَّةِ، ويمكن الجمع بينهما، حسب حالة المحاوَر.

ج – عدمُ المداهنةِ والمهادنةِ في الثَّوابت، وطرحُها بقوَّةٍ، وجرأةٍ، وإنصافٍ، ويقينٍ جازم، وعلمٍ راسخ، فهو يعطي الانطباع الأول عنك وعن قوَّتك في المحاورة.

٢ – قال الله –تعالى-: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

بعد أنْ حاجَّهم إبراهيمُ –عليه السلام– في ربِّهم، وتبرَّأ من معبوداتهم التي يعكفون عليها، انتقلَ إلى الإنكارِ عليهم في عمليةِ المحاجَّة في تلك المعبودات التي لا تَسمع ولا تُبصرُ ولا تُغني من جوعٍ، وبعد أنْ أثبت لهم الهدايةَ بالدَّليلِ الموجبِ لها، وإرشاده لهم بتلك الطَّريقة المنطقيَّةِ التي لا تقبلُ شكًّا، وتعطي اليقينَ، وتثبت صحة قوله، فيقول لهم: كيف ألتفتُ إلى محاجَّتكم والتي تقدِّمونَ فيها حججًا واهيةً، وكلماتٍ باطلةً غيرَ مستندةٍ إلى برهانٍ واضحٍ، ودليلٍ ساطعٍ، بل هي حججٌ

(١) يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي، "بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل". (بيروت، دار صادر) ٢: ١٩.

(٢) أبو إسماعيل بن عباد، "الأمثال السائرة من شعر المتنبي والروزنامجة". تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين (ط١، بغداد، مكتبة النهضة، ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م): ٤٨.

باطلةٌ، وترّهاتٌ سخيفة لا تَثبتُ أمام ما جئتُ به من أدلّةٍ وحججٍ(١).

يقول صاحب تفسير المنار: "أَتُجَادِلُونَنِي مُجَادَلَةَ صَاحِبِ الْحُجَّةِ فِي شَأْنِ اللهِ -تعالى-، وَمَا يَجِبُ فِي الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ بِمَا هَدَانِي إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي أَقَمْتُ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ ضَالُّونَ بِإِصْرَارِكُمْ عَلَى شِرْكِكُمْ، وَتَقْلِيدِكُمْ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ؟"(٢).

جاء استفهامه هذا ليعطي لهم معنيين:

أحدهما: الاستنكارُ على المحاجّة ذاتها وطريقتِها، وما يحاجُّون فيه، فهي معبوداتٌ يتّخذونَها أربابًا دون الله -تعالى-الذي خلقهم وسوّاهم ورزقهم، وشتّان بين مَن يتّصفُ بهذه الصّفاتِ منَ الضّعف والحاجةِ، وعدمِ الإجابةِ، وبين مَن يخلقُ ويرزقُ ويجيبُ دعوةَ الدّاعِ، ويعطي ويَسلب! (٣).

الثاني: أنّه يأّسَهم من أنْ يرجعَ إلى معتقداتِهم بعد أنْ تبيَّنَ له الحقُّ والصّوابُ، ووضُحَ له الطَّريقُ السَّويُّ المستقيم، فكيف يعودُ إلى الضّلالِ؟ رغم أنَّه في الحقيقةِ لم يكن كذلك، ولكن حينما تدرَّجَ معهم أوهمهم أنَّه يعبدُ تلك الأشياء فاتَّضَحَ له ضعفُها وعجزُها، وكونَها تغيبُ وتبتعدُ، ولا يمكن أنْ يكون الإله كذلك (٤).

يقول السعدي: وأيُّ فائدةٍ لمحاجَّة مَنْ لم يتبيَّن له الهدى؟ (٥).

ويتضمَّنُ السُّؤالُ معنى آخرَ، وهو التَّوبيخُ، كما ذكر ذلك القرطبيُّ في تفسيره (٦)، فهو يوبِّخُهم على عبادتهم لغير الله -تعالى-، فالإنسان الذي وهبَه اللهُ -تعالى-العقلَ؛ ليفكِّرَ ويتدبَّرَ به، ويقودَه إلى وجودِ الله ووحدانيَّتِه، ثم يضعَه جانبًا أو يسلِّمَه لغيره، كما قالوا له في موضع آخر: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ

(١) ينظر: محمد بن عمر فخر الدين الرازي "التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ١٣: ٤٧.

(٢) محمد رشيد رضا، "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)". (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ٧: ٤٧٩.

(٣) محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) ١١: ٤٦٩.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٧: ٣٢٧.

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) ١: ٢٦٢.

(٦) محمد بن أحمد القرطبي "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية العامة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، القرطبي ٢٦/٧.

ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣].

يقول الرازي –رحمه الله–: إنَّ المحاجَّةَ في هذه الآيةِ يَحصُلُ لنا منها أنَّه إذا كانت في الله تارةً، فإنَّها تكون موجبةً للمدح العظيم، والثَّناءِ البالغ؛ وهي المحاجَّةُ التي ذكرها إبراهيم –عليه السلام–، وذلك المدح والثناء هو قوله –تعالى–: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ٨٣]، وتارةً تكون موجبةً للذَّم، وهو قوله –تعالى–: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾، وإذا ثبت هذا الأصلُ فإنَّه يكونُ قانونًا يعتدُّ به في كتابِ الله، فكلُّ موضعٍ جاءَ فيه إخبارٌ على تهجينِ أمرِ المحاجَّة، والمناظرةِ فهو محمولٌ على تقرير الدِّينِ الباطلِ، وكلُّ موضعٍ جاء فيه ما يدلُّ على الثَّناء عليه ومدحه، فهو محمولٌ على تقريرِ الدِّين الحقِّ والمذهب الصَّوابِ [(١)].

ومن الاستفهامِ في القرآنِ ما يكونُ لبيانِ الاستحالة، وهو يقاربُ في معناه نفيَ وإنكارَ الوقوعِ إلى حدٍّ أنَّه يكون احتمالاً غيرَ معقولٍ، ومنه سؤالُ إبراهيم –عليه السلام–هنا، فهو ما لايجوز التغيير فيه، إذ إنَّ قومَه يريدون أنْ يردُّوه عن دينِه وقناعتِه، لكنَّه أبَى بهذه الصِّيغةِ الاستفهاميَّةِ[(٢)].

الهداية من السؤال:

أ–قد يكون القصدُ منَ السُّؤالِ إيقافُ المحاوَر عن مجادلتِه لأحد سببين: الأوَّلُ: أنْ تكونَ حججُك وبراهينُك دامغةً قويَّةً، أو أنْ تكونَ حججُهُ هو واهيةً ضعيفةً لا ترقَى إلى أنْ يُستَدلَّ بها.

ب – يمكن أنْ يكونَ السُّؤالُ للاعتراضِ على المحاورة أو المحاجَّة نفسِها أو طريقتِها.

ج – المحاجَّةُ أو المحاورةُ تكون محمودةً إذا كانتْ لإثباتِ الحقِّ وتقريرِ المذهبِ الصَّوابِ، وتكونُ مذمومةً إذا كانت لإقرار الدِّينِ الباطلِ، والمذهب الفاسدِ.

٣ – قال الله –تعالى–: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

فبعد أنْ أوضحَ لهم إبراهيمُ –عليه السلام– أنَّ اللهَ –تعالى– قد هداه إلى طريقِ الحقِّ والصَّوابِ، بما أثبت لهم من أدلةٍ ظاهرةٍ جليَّةٍ، وأعلمهم أنَّ اللهَ –تعالى– هو المتفرِّدُ في الكون لا شريكَ له بذلك، وأنَّه لا يخافُ أحدًا سواه إلا أنْ يكون ذلك هو الخوفُ المعتادُ الذي يدخل نفسَ كلِّ إنسانٍ، واستدلَّ على قدرتِه وعلمِه بأنَّه –تعالى– وسِعَ كلَّ شيءٍ بعلمه الأزليِّ القديمِ، يوجِّه لهم سؤالاً ذا أهميةٍ بالغةٍ؛ ليفتحَ عقولَهم ويُرشدَها إلى أنَّهم على خطأ وجهلٍ عظيمٍ، فيقول: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فهو بهذا يوقفهم، وينبِّههم، ويظهرُ لهم موضعَ التَّقصيرِ والغفلةِ منهم، إذ عبدوا ما لا

(١) الرازي، "التفسير الكبير" ١٣: ٤٨.

(٢) محمد أبو زهرة، "المعجزة الكبرى القرآن"، (بيروت، دار الفكر العربي)، ١: ١٦٥.

يضرُّ، ولا ينفعُ، وأشركوه بالله، ويبيِّن لهم أنَّ ما حاجَّهم به من دلائلَ أقامَها عليهم أثناءَ ذلك في عدم صلاحيَّةِ الأصنامِ لأنْ تكونَ آلهةً تُعبدُ [١].

يقول الطَّبريُّ رحمه الله: "أفلا تعتبرون، أيُّها الجهلة، فتعقِلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمونَ، من عبادتِكم صورةً مصوَّرة، وخشبةً منحوتةً، لا تقدرُ على ضرٍّ، ولا على نفعٍ، ولا تفقَه شيئًا، ولا تعقلُه، وتركُكم عبادةَ مَن خلقَكم، وخلقَ كلَّ شيء، وبيده الخيرُ، وله القدرةُ على كلِّ شيءٍ، والعالِمُ لكل شيء"[٢].

وفي التفسير الكبير جاء ما نصه: "أفلا تتذكَّرونَ أنَّ نفيَ الشركاءِ والأضداد عن الله –تعالى– لا يوجب حلول العقاب، والسعيَ في إثبات التَّوحيدِ والتَّنزيه لا يوجب استحقاقَ العقابِ"[٣].

ونوعُ الاستفهامِ هنا هو استفهامٌ إنكاريٌّ؛ لعدم تذكُّرهم مع وضوحِ الدَّلائلِ، وهو تذكُّرٌ لكلِّ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ المنافيةِ لمقام الإلهيَّةِ، وعدم تذَكُّرهم في صفاتِ الإلهِ الحقِّ الذي دلت عليه المصنوعاتُ العظيمةُ، والآياتُ الخَلقيةُ العجيبةُ [٤].

وقد خصَّ إبراهيمُ –عليه السلام–السؤالَ بكلمة (تتذكَّرون) بدلاً من تتفكَّرون أو سواها لما فيه من إشارةٍ إلى أنَّ أمرَ آلهتهم مركوزٌ في عقولهم لا يتوقَّفُ على التَّفكيرِ بل توقُّفُه يكونُ على عمليَّةِ التذكُّرِ [٥].

الهداية من السؤال:

أ – يمكن أن يُطرحَ السُّؤال على المحاوَر؛ ليُعمِلَ عقلَه فيما تمَّ طرحُه.

ب – قد يكونُ السُّؤالُ للتَّنبيهِ على موضعِ الخطأ.

ج – تركُ نهايةِ السُّؤالِ مفتوحةً لكي يفكِّرَ المحاوَر في تتمَّتِه حسب ما يقتضيه الحالُ والمقالُ.

(١) ينظر: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ) ٢: ٣١٥، وأبو حيان، "البحر المحيط" ٤: ٥٧٠.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ١١: ٤٨٩.

(٣) الرازي، "التفسير الكبير" ٤٨/١٣.

(٤) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٣٢٩/٧.

(٥) ينظر: محمود بن عبد الله الآلوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ـــبيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٤: ١٩٤.

٤ ـ **قال الله –تعالى-:** ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ ﴾ [الأنعام: ٨١].

يبدو من مفهوم الآية الكريمة أنَّ قومَه قد خوّفوه من آلهتهم أنْ تصيبَه بسوءٍ –لاعتقادهم أنَّها تضرُّ وتنفعُ–فتأتيهم إجابةُ الواثق بالله –تعالى–، والمؤمنِ به على صيغةِ سؤالٍ استفهاميٍّ إنكاريٍّ مفيدٍ للنَّفي، بصيغةٍ جازمةٍ حازمةٍ، وكذلك مبررة، "وهذا جوابُ إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أنْ تمسَّه، لذكرِه إياها بسوءٍ في نفسِه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخافُ وأرهبُ ما أشركتموه في عبادتِكم ربَّكم فعبدتموه من دونه، وهو لا يضرُّ ولا ينفعُ؟ ولو كانت تنفعُ أو تضرُّ، لدفعت عن أنفسِها كَسْرِي إيَّاها وضربي لها بالفأس! وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم، وهو القادرُ على نفعِكم وضرِّكم في إشراككم في عبادتكم إياه". [1] فهو بذلك قلبَ الحجَّةَ عليهم، فأنكرَ عليهم عدم خوفِهم من الله –تعالى–حين أشركوا به غيره، دون دليل نصبه لهم، فجَمَعَت (كيف) الإنكارَ على الأمرينِ معًا [2].

ويضافُ إلى معنى الاستفهامِ هنا –غير الإنكار–أنَّه للتَّعجُّبِ، فهو يتعجَّبُ من تلك العقولِ التي تخوِّفُه من أخشابٍ وحجارةٍ لا تضرُّ ولا تنفعُ [3].

ويُدخل إلى الاستفهام الإمامُ الشوكانيُّ –رحمه الله–معنى آخر، ألا وهو التَّقريعُ، يوجِّه فيه اللَّومَ والعتابَ الشَّديدَ الموجعَ على فعلهم المذمومِ، فكان الأولى بهم تركَ هذا العملِ وهو الإشراك بالله –تعالى–هذه المعبودات كلها [4].

والنَّفيُ بهذه الطَّريقةِ العجيبةِ يُنكرُ وقوعَ الخوفِ من أصلِه، وينفيه بالكلِّيَّةِ عنه –عليه السلام–بل ويستبعده، وإبراهيم –عليه السلام– لم يرجع ضميرًا إلى آلهتهم صاحبة الحال المذكور، وهو مقرِّر لإنكارِ الخوف، ونفيه عنه –عليه السلام– ومُفْقِدٌ لاعترافهم بذلك، فإنَّهم إذ لم يخافوا في موقعٍ يجبُ الخوفُ فيه من أنَّهم أشركوا بالله –تعالى– إذ هو صاحب القوَّةِ والجبروتِ، وهو الإلهُ الحقُّ، والقادرُ على كلِّ شيءٍ، وكان الأولى بهم ذلك، فلم يُنزِلِ اللهُ –تعالى– عليهم بعبادةِ هذه

---

(١) الطبري، "جامع البيان" ١١: ٤٩٠.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٧: ٣٣٠.

(٣) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط" ٤: ٥٧٠، والسمين الحلبي، "الدر المصون" ٥: ٢٢.

(٤) ينظر: محمد بن علي الشوكاني، "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير". (ط١، دمشق، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ)، ٢: ١٥٣.

الآلهة المتعدِّدَةِ سلطانًا وبرهانًا يأذنُ بجعلها شركاءَ له وأندادًا، ولا نزَّل عليهم بإشراكها حجةً يحتجون بها. فهو كذلك لا يخافُ -عليه السلام-إذ هو في محل أمنٍ وأمانٍ، لأنَّه بمعيَّةِ الله، معتمدًا ومتوكلاً عليه، وليس موقفُه موقفَ خوفٍ أصلاً، فهو يملك السُّلطانَ والحجةَ الدَّاحضةَ لهم بما يقول [1].

يقول الشِّهابُ في حاشيته على البيضاويِّ: "فمن قال هنا لا بدَّ من بيان فائدةِ حذفِ (بالله) في الأوَّل وإثباتِه في الثَّاني، ولم أرَ أحداً تعرَّضَ له، فأقول: لعلَّ الوجهَ في ذلك أنّ مقصودَ إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- في الأوّل إنكارُ أنْ يخافَ غيرَ الله -تعالى- سواء كان مما يشركُه الكفَّارُ أولا، وبالجملة خصوصيَّةُ الإشراكِ بالله -تعالى- مقصودةٌ في هذا المقام، وأمّا قوله:﴿ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ ﴾ دون أن يقول (بالله) فلأنَّ الكلامَ فيما أشركوا، وفي الثاني إنكارُ عدمِ خوفهم من إشراكهم بالله، فإنَّ المنكَرَ المستبعَدَ عند العقلِ السَّليمِ هو الإشراكُ باللهِ -تعالى- لا مطلقَ الإشراكِ، فلذا حذفَه في الأوَّلِ، وأتى به في الثاني. انتهى"[2].

الهداية من السؤال:

١-عندما يلجأ الخصمُ إلى التَّهديدِ والوعيدِ بعد أنْ تخصمَه، وتحاجَّه بقوةِ الدَّليلِ والبرهانِ عليك الاستمرارُ بالأدلَّةِ التي تُسكتُه، أو تجعلك تأخذُ من لسانِه الإقرارَ بحجتك أنت [3].

٢ -يمكن أنْ يخرجَ الاستفهامُ -كما قال المفسرون في معنى هذه الآية-إلى أكثرَ من معنًى في آنٍ واحد، فهنا خرج الاستفهامُ إلى الإنكارِ والتَّعجُّبِ والتَّقريعِ والنَّفيِ، وهذا من أجملِ فنون الحوارِ والمحاورةِ، ففيه الاختصارُ في الكلام وكثرةُ المعاني له.

٣-حسنُ الحذفِ والذِّكرِ في السُّؤالِ له دلالةٌ واضحةٌ على نوعِه والإفادةِ منه وتشعُّبِ فوائدِه.

٥ ـ قال الله -تعالى-:﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[الأنعام: ٨١].

ينتقل -عليه السلام-في محاجَّتهم إلى سؤالٍ آخر، فبعدما خوَّفوه في مكانِ الأمنِ، وهم لم يخافوا في مكانِ الخوفِ، جاء الاستفهام مبرَّرًا في صورة الاحتمالِ؛ وإنْ كان قد علمَ متيقِّنًا أنَّه هو

---

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ١١: ٤٩٠، وأبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السلميإلى مزايا القرآن الكريم. (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ٣: ١٥٥.

(٢) أحمد بن محمد الخفاجي "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي". (بيروت، دار صادر) ٤: ٨٧.

(٣) ينظر: محمد بن عبد الوهاب، "تفسير آيات من القرآن الكريم". تحقيق: د. محمد بلتاجي، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود)، ٦٥.

الآمنُ لا هم [١]. وهو "مرتَّب على إنكارِ خوفِه -عليه الصلاة والسلام-في محلِّ الأمن مع تحقُّقِ عدمِ خوفهم في محلِّ الخوفِ مسوق لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه -عليه الصلاة والسلام-لما هو عليه من الأمن، وبعدم استحقاقهم لما هم عليه، وإنما جِيء بصيغة التَّفضيلِ (أحقُّ) باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف"[٢].

والاستفهام بـ (أيّ) هنا على جهة التَّقريرِ، إذْ يقرِّرُهم ليسمعَ الإجابةَ منهم رغم علمِه الأكيدِ بنتيجة السُّؤالِ، وهي بأنَّه هو وحدَه الأحقُّ بالأمن [٣].

والفاء في قوله: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ تفريعٌ على الإنكارِ في السُّؤال السَّابقِ ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ﴾، والتَّعجيبُ فرَّع عليهما استفهامًا ملجئًا؛ ليعترفوا بأنَّهم الأحقُّ والأولى بالخوف من الله -تعالى-من إبراهيم -عليه السلام-من تلك الآلهة التي يعبدونها لعدم قدرتها وضعفها [٤].

أما الإجابة على السؤال المذكور في الآية اللَّاحقة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ففيه أقوالٌ للعلماء هي[٥]:

القول الأول: إنَّها من قول إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-. فإنْ كان من كلامِه -عليه السلام-فهي من إتمام الحجَّةِ عليهم [٦]، فصرَّح بذلك المحتَمَلِ بأنَّ الفريقَ الأحقَّ بالأمنِ هو ومَن سارَ على نهجِه منَ المؤمنين [٧]، وتوضيحُ الإجابةِ أكثر، وإقرارُهم بها؛ ليرَوا أنَّه هو الذي على الحقِّ وأنَّهم على باطلٍ.

القول الثَّاني: إنَّها من كلام قومِ إبراهيم. ولو كانت كذلك فإنَّهم أجابوا بما هو حجةٌ

---

(١) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط" ٤: ٥٧٠-٥٧١

(٢) أبو السعود، "إرشاد العقل السليم" ٣: ١٥٤-١٥٥.

(٣) ينظر: ابن عطية، "المحرر الوجيز" ٢: ٣١٥، وابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٧: ٣٣١.

(٤) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٧: ٣٣١.

(٥) ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (دمشق، دار القلم) ٥: ٢٣.

(٦) ينظر: ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٢: ٣١٥.

(٧) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط" ٤: ٥٧١.

عليهم[١].

القول الثَّالثُ: إنَّها من قولِ الله –تعالى–. فتكون لمجردِ الإخبارِ من الباري –تبارك وتعالى– بهذا الأمر[٢].

والفريقُ هو الطائفةُ منَ النَّاسِ الكثيرةِ تتميَّزُ عن غيرها بشيءٍ يجمعها سواء كان نسبًا أو مكانًا أو غيرها، وأراد –عليه السلام–بالفريقين هنا: نَفسَه وقومَه، وإطلاقُه هذا على نفسِه من باب التَّغليب أو المشاكلةِ، أو أنَّه أراد بذلكَ نفسَه ومن على شاكلتِه ممَّن هم معه آنذاك، كلوط –عليه السلام–: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، أو ممَّن سيكون على ملَّتِه ودينِه من بعده[٣].

وهنا لفتةٌ جميلةٌ يذكرها البيضاويُّ في تفسيره فيقول: "وإنَّما لم يقل أيُّنا؟ احترازًا من تزكيةِ نفسِه"[٤]، وهذا الاحتراز واجبٌ للتَّقرُّبِ إلى المقابلِ أو المحاورِ كي لا يبتعد عنك، ويرى التَّكبُّر والتَّعالي منك، فيتركك، ولا يُتمَّ الحديث معك، وتفقدُ ميزتك في التَّواضعِ وحُسنِ الحديث.

الهداية من هذا السؤال:

أ –في محاورتك للآخرين حاول أنْ تأخذَ الإجابة من أفواههم، ويقرُّوا لك بالإجابةِ التي تريد، فإنَّ هذا يساعدُك على إقامة الحجَّةِ عليهم.

ب –إذا لم يجبْك على سؤالك فأجبْه أنت بإجابةٍ واضحةٍ بيِّنَةٍ، تجعله يوافقُك على تلك الإجابةِ، فتكسبُ الجولةَ معه.

ج –عليك أنْ تختارَ الكلمةَ المناسبةَ التي لا تُشعرُ محاورَك بأنَّك متعالٍ أو أنَّك فقط تريدُ أنْ تكسبَ الحوارَ بل إنَّك تريدُ الحقَّ حيث كان.

د –فيها دلالةٌ على حسنِ انتقاءِ الكلماتِ أثناء المحاورة، فكلُّ كلمةٍ لها دلالتُها ومغزاها، فليتنبَّه المحاورُ أثناء سؤاله إلى ذلك بشكل دقيق.

---

(١) ينظر: السمين الحلي، "الدر المصون" ٥: ٢٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٧: ٣٣١.

(٤) عبد الله بن عمر البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) ٢: ١٧، وعبد الله بن أحمد النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: مروان محمد الشعار، (بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٥م) ١: ٥١٨.

هـ – التَّواضُعُ في الحديثِ، وعدمُ تمييزِ النَّفس بكلامٍ خاصٍّ عن غيره كي لا يفقدَ ثقةَ المحاوَر به.

المبحث الثالث: أسئلته – عليه السلام – في سورة مريم

لقد وصفَ اللهُ –تعالى– نبيَّه إبراهيم –عليه الصَّلاة والسلام– بأوصافٍ كثيرةٍ في كتابِه العزيز، منها: أوَّاهٌ، حليمٌ، صدِّيقٌ، وغيرها من الصِّفات الكريمةِ، والأخلاقِ الحسنةِ، وهذه الصِّفاتُ جعلت منه حَسَنَ الحوار، والتَّعاملِ مع أبيه وقومِه، فلذلك نجده يتدرَّجُ في الدَّعوةِ إلى توحيد الله – تعالى– مع أبيه وقومه، فخاطبهم في أوَّلِ أمرِه بالرِّفقَ واللِّينِ والمودَّةِ والمحبَّةِ، ونجد ذلك واضحًا جليًا في مخاطبته لأبيه في سورة مريم ومحاورتِه له، يقول الرَّازيُّ رحمه الله في تفسيره: "إنه –عليه السّلام– ناظر في إثباتِ التَّوحيدِ، وإبطالِ القولِ بالشُّركاءِ والأندادِ في مقامات كثيرة:

فالمقام الأوَّلُ: في هذا الباب مناظراتُه مع أبيه، حيث قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢] .

والمقام الثاني: مناظرته مع قومه، وهو قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ [الأنعام: ٧٦]

والمقام الثالث: مناظرته مع ملِكِ زمانِه، فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

والمقام الرابع: مناظرته مع الكفار بالفعل، وهو قوله –تعالى–: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ﴾ [الأنبياء:٥٨]"(١).

فبدأ محاورته الأولى بسؤال موجَّهٍ إلى والده:

١ – قال الله –تعالى-: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: ٤٢].

سلك أبونا إبراهيم –عليه السلام– مع والده في دعوتِه أحسن منهجٍ، وأقومَ سبيل، محتجًا عليه بأبدعِ الحُججِ، بأدبٍ حسنٍ، و خلق جميل؛ كي لا يتعنَّتَ، ويركبَ مركبَ المكابرةِ والعنادِ، ولا ينكِبَ بالكلِّيةِ عن محجةِ الرَّشادِ عندما يطلب منه علَّة عبادته لما يستخفُّ به عقلُ كل عاقل من عالم وجاهل، ويأبى الرُّكون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي الغايةُ العظمى، والتي لا تحقُّ إلا لمن يَستغني بذاتِه استغناءً تامًا، ويُنعم إنعامًا عامًا، ويخلقُ ويرزقُ ويحيي ويميت ...، (٢) فابتدأ بطريقةِ

(١) الرازي، "التفسير الكبير" ١٣: ٢٩.

(٢) ينظر: أبو السعود/ "إرشاد العقل السليم" ٥: ٢٦٧.

الاستفهامِ، كي لا يُشعرَ والدَه بالنَّقصِ والجهلِ، وأنَّه أعلمُ منه[1]، والأدبُ والصَّبرُ والحِلمُ والبِرُّ في هذا الخطاب واضحٌ جليٌّ منه -عليه السلام- مع جهالةِ أبيه، وهو على الشكل الآتي[2]:

١ – خاطبه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، وهذا فيه تودُّدٌ وتقرُّبٌ، وتراحُم ولطفٌ، فناداه بأجملِ شيء ينادَى به الوالدُ، وهو الأبوّة؛ ليستمعَ إليه ماذا يقول؟ وما يريد؟ وجاء بهذا اللَّفظ دون غيرِه من ألفاظِ نداء الابن لأبيه؛ لأنَّ (أبت) لها ملحظٌ دقيقٌ، فهو يريدُ أنْ يثبتَ أنَّهُ وإن كان أبًا إلا أنَّ فيه حنانَ أبوين: الأبِ والأمِّ، فجاء بالتَّاءِ التي تشيرُ إلى الجانبِ الآخر؛ لذلك نجدها لا تقالُ إلا في الحنانيَّةِ المطلقةِ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ كما لو ماتت الأمُّ مثلاً، فقام الأبُ بالمهمَّتين معًا، وعوَّض الأبناءَ حنانَ الأمِّ المفقودة.

٢ – لم يقل في بداية الأمرِ: لم تعبدِ الشَّيطانَ، بل أخَّرَ هذه الحقيقة إلى نهاية المناقشةِ، لما في ذلك من مواجهةٍ مباشرةٍ مع أبيه، وتحقيرًا لمعبوده.

٣ – بدلاً من ذكر الشَّيطانِ حلَّلَ شخصيَّتَه، وأبان عناصرَه، وكشَفَ حقيقتَه، فذكر صفاتِه التي لا تكون في معبودٍ، وهذه الصِّفاتُ هي علَّةٌ تجعل الإنسانَ يبتعدُ عن عبادتها، وكذلك فيها شموليَّةٌ لكل المعبوداتِ من دون الله -تعالى- من شجرٍ وحجرٍ وشيطانٍ، وبخاصةٍ أنَّ البيئةَ التي كان يعيشها إبراهيم -عليه السلام- كانت مليئةً بالآلهة، كالأصنامِ والأشجارِ والنجومِ والكواكبِ وغيرها، لأنَّ الأصلَ في العبادة أنْ تكون إلى ما هو أعلى مرتبةً من الإنسانِ وأعلمَ وأقوى، وأنْ يرفعَها إلى مقامٍ أسمى من مقامِه وأسنى.

وبما أنَّ هذا الحوارَ هو الأوَّلُ مع أبيه استعمل أكثر من أسلوب بلاغي:

١ -براعةُ الاستهلالِ: وهي بدايةٌ بديعةٌ ورائعة، فالبَدْءُ بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ يصنع جوًّا من التَّكافلِ الوجدانيِّ العائليِّ، يساعد على إكمالِ المحاورة بكلِّ هدوءٍ وطمأنينةٍ، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى الإخلاصِ بالنَّصيحةِ لأبيه، فابتدأ معه بالحجَّةِ الراجعةِ إلى الحسِّ، وهي نفيُ السمعِ والبصرِ، وهو حاجةٌ محسوسةٌ واضحةٌ، ثم أتبعها بقوله: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[3].

٢ – وهذا النداء بـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، نداءٌ مفعم بمثيراتِ العواطفِ الإنسانيَّةِ؛ ليصعدَ به إلى أوَّلِ

(١) تفسير الشعراوي ٩٠٩٧/١٥.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي ٩٠٩٧/١٥.

(٣) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ١٦: ١١٤.

درجةٍ تكفُلُ له رضوخَ أبيه.

٣ – الاستفهامُ: وفي هذا الاستفهامِ أكثرُ من غرضٍ، فأوَّلها: إثارةُ الشكِّ عند أبيه، وإدخالُ التَّساؤلاتِ على ذهنه، ثانيها: أنَّ في الاستفهامِ معنى زائدًا وهو الإنكارُ، فيكون هذا التساؤلُ انتقالاً إلى درجةٍ أعلى منَ الحوارِ، ولو كان خبريًا، فإنه لا يعدو تقريرَ أمرٍ لا يحتاج إلى تقريرٍ لوضوحِه وعلانيَّتِه.

٤ – نَفَى عن الآلهةِ التي يعبدونَها حاستي السَّمعَ والبصرَ، وهما حاستا التَّواصلِ والإدراكِ، فكيف لمن فَقَدَهما أنْ يتواصلَ مع غيره؟![1] "والشيءُ لو كان حيًّا مميِّزًا سميعاً بصيرًا قادرًا على النَّفعِ والضُّرِّ مطيقاً بإيصالِ الخيرِ والشَّرِّ لكن كان ممكِناً لاستنكف العقلُ السليمُ عن عبادته، وإن كانَ أشرفَ الخلائقِ لما يراه مِثْلَه في الحاجة والانقيادِ للقدرة القاهرةِ الواجبةِ فما ظنُّك بجمادٍ مصنوعٍ من حجرٍ أو شجرٍ، ليس له من أوصاف الأحياءِ عينٌ ولا أثرٌ" [2].

الهداية من السؤال:

أ – حسن الخطاب في السُّؤالِ، وانتقاء الكلماتِ بلطفٍ وعطفٍ؛ كي لا تنفّر المحاوَر أو المخاطَب فيتعنَّت ويكابرَ ويعاندَ.

ب – لكل محاوَرٍ أو مخاطَبٍ طريقةٌ يجب اتِّباعُها للحديثِ والحوار معه، وكذلك طريقةٌ لطرح السُّؤال عليه.

ج – حُسنُ افتتاحِ الكلامِ، وبخاصةٍ السُّؤال ليَلقَى الكلامُ القَبولَ، ويستمعَ المحاوَرُ لباقي الكلامِ والحوارِ.

---

(١) ينظر: شبكة جنين للحوار http://jenin.frbb.net/t647-topic تاريخ أخذ المعلومة ٢٩/١١/٢٠١٥م.

(٢) أبو السعود/ "إرشاد العقل السليم" ٥: ٢٦٧.

المبحث الرابع: أسئلته – عليه السلام – في سورة الأنبياء

نَنتقلُ إلى مرحلةٍ جديدةٍ في حوارِ إبراهيم –عليه السلام– ودعوتِه لقومه، فبعد أنْ خوَّفوه من آلهتِهم التي يزعمون أنَّها ستضرُّه إذا لم يعبدْها، ودعوتُهم له بعبادتها، وتركُ العبادةِ التي يخالفهم فيها، دَعَوْهُ إلى أنْ يخرجَ معهم إلى عيدٍ من أعيادهم، لكنَّه اعتذرَ بقولِه: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، فحاورهم في آلهتهم صراحةً وبوضوح، وهي مرحلةٌ أعلى وأشدُّ وأحدُّ، وفيها إعلانُ حرب عليهم، وذلك عندما أعطاه الله –تعالى– رشده، فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، فجاء إلى أبيه وقومه ووجه إليهم السُّؤالَ الآتي:

١ – قال الله –تعالى-: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٢]

في محاورة إبراهيم –عليه السلام–لأبيه وقومه في هذه السُّورةِ الكريمة ابتدأهم بسؤالٍ، وصيغةُ هذا السُّؤال جاءت بـ (ما)، وهذه الصيغة الاستفهامية المبتدئة بـ (ما) يُستفَهم بها عن المجهول، ويطلب بها تعيينُ الجنس [(١)].

ويأتي السُّؤالُ بطريقةٍ تسمَّى "تجاهلَ العارفِ" وقد عرَّفه ابنُ حجَّةَ الحمويُّ بقوله: "عبارةٌ عن سؤالِ المتكلِّمِ، عمَّا يعلمُ، سؤالَ مَنْ لا يعلم، ليوهم أنَّ شدَّةَ التَّشبيهِ الواقعِ بين المتناسبين أحدثت عنده التباسَ المشبَّهِ بالمشبَّهِ به"[(٢)]، وهذه التَّسميةُ لكلامِ البشرِ كما هنا في قولِ إبراهيم –عليه السلام–، أما إنْ جاء في كلامِ اللهِ –تعالى–، فيسمَّى حينئذٍ: إيرادُ الكلامِ في صورة الاستفهام لغايةٍ ما، كما في قوله الله –تعالى– في خطابه لموسى –عليه السلام– إذ يقول: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

وهو كذلك سَوْقُ المعلومِ مساقَ المجهولِ لنكتةٍ تُقصد لدى البلغاء، ولهذا الأسلوبِ دواعٍ عدَّةٌ، منها: التَّوبيخُ، أو المبالغةُ في المدحِ والذَّمِّ، أو التدلُّه في الحب، والإيناس[(٣)].

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: "والاستفهام في قوله –تعالى-: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يتسلَّطُ

---

(١) ينظر: الشوكاني، "فتح القدير" ٤: ١١٣.

(٢) أبو بكر بن علي ابن حجة الحموي "خزانة الأدب وغاية الأرب". تحقيق: عصام شقيو، (بيروت، جار ومكتبة الهلال، ودار البحار، ٢٠٠٤م) ١: ٢٧٤

(٣) ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة، "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها". (دمشق دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ٢: ٣٩٦.

على الوصف في قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ فكأنَّه قال: ما عبادتكم هذه التماثيل؟. ولكنه صِيغَ بأسلوب توجه الاستفهام إلى ذات التَّماثيلِ لإبهامِ السُّؤالِ عن كنْهِ التَّماثيلِ في بادئ الكلام إيماءً إلى عدم الملاءمةِ بين حقيقتِها المعبَّرِ عنها بالتَّماثيلِ وبين وصفها بالمعبوديَّةِ المعبَّرِ عنه بعكوفهم عليها. وهذا من تجاهلِ العارفِ استعملَه؛ تمهيدًا لتخطِئَتهم بعد أنْ يَسمعَ جوابَهم، فهم يظنُّونَه سائلاً مستعْلِمًا ولذلك أجابُوا سؤالَه بقولهم: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾؛ فإنَّ شأنَ السُّؤالِ بكلمةِ "ما" أنَّه لطلب شرحِ ماهيَّةِ المسؤول عنه.

والإشارةُ إلى التَّماثيلِ لزيادةِ كشفِ معناها الدَّالِّ على انحطاطها عن رتبةِ الألوهيَّةِ. والتعبير عنها بالتَّماثيلِ يسلبُ عنها الاستقلالَ الذاتي" [١].

والمعنى الذي يوجِّهُ إبراهيمُ -عليه السلام-سؤالَه فيه هو أدرى بما يسألُ عنه، بأنَّها حجارةٌ لا تضرُّ ولا تنفع، فهو يقصِدُ بذلك المبالغةَ في الذَّمِّ لهذه الآلهةِ التي لا تضرُّ ولا تنفع، وكذلك يستنكرُ عليهم، ويستهزئ بهم، ويقرِّعُ على قيامِهم بعبادة هذه الأصنامِ التي لا تتَّصفُ بشيءٍ من صفات الألوهيَّةِ.

وجاء في زهرة التَّفاسيرِ أنَّ الاستفهامَ منصَبٌّ على سؤالِه عن هذه الأصنام التي عكفوا عليها يعظمونها، ويعبدونها، فتضمَّن هذا الاستفهامُ أول ما تضمَّن الاستهانةَ والاستهزاءَ، ثمَّ التحقيرَ لها بأنْ أشارَ إليها؛ إذ الإشارة تتضمَّنُ أنَّها حجارةٌ محسوسةٌ مشاهدةٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ثمَّ إنَّها تتضمَّن استنكارَ العكوفِ على عبادتها، ولا مسوِّغَ لعبادتها؛ لأنَّها لا تملك شيئًا من صفاتِ الألوهيَّةِ التي توجب العبادة [٢].

ونجده سمَّى الأصنامَ التي يعبدونها باسمها (التَّماثيل)، ولم يقل: إنَّها آلهةٌ، مستنكرًا اعتكافَهم عليها بالعبادة، فهم يقضونَ وقتهم متعلِّقينَ بها، وإنْ كان معنى العكوفِ هو الانكبابُ الدَّائمُ المستمرُّ، فيكون التَّعلُّقُ والعكوفُ معنويًا لا زمنيًا، فهو بهذا يستخِفُّ ويُسخِّفُ تعلُّقَهم، ويبشِّعُه بهذه الصُّورةِ التَّشبيهيَّةِ لعمليةِ انكبابهم بشكل دائم على عبادة تلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر [٣].

الهداية من هذا السؤال:

---

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ١٧: ٩٤.

(٢) ينظر: محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، "زهرة التفاسير". (بيروت، دار الفكر العربي) ٩: ٤٨٨٢.

(٣) ينظر: قطب، "في ظلال القرآن" ٤: ٢٣٨٥.

أ – على السائل أنْ يستعملَ أسلوبَ السُّؤال حسب الحالةِ التي تمرُّ به في المحاورة.

ب – استعمالُ الكلماتِ التي تؤثِّرُ في المسؤول، ويكون لها أكثرُ من مغزًى.

ج – أحيانًا يُوجَّه السؤال للمسؤول، والسَّائلُ يعلم الإجابةَ، ولكنَّه يريدُ من وراء هذا السُّؤالِ غرضًا معيَّنًا غيرَ الإجابةِ الواضحةِ، لأنَّه يعرفُها في الأصلِ، ويريدُ الوصولَ إلى ذلك الغرض عن طريق إجابته.

د – استعمالُ لغةِ الجسد كالإشارةِ خلالَ طرح السُّؤالِ لما له من معنى زائدٍ عن الألفاظِ، بل أحيانًا يتغيَّرُ المعنى بشكلٍ كاملٍ.

هـ – للتشبيهِ دورٌ مهمٌّ في فَهمِ الكلامِ، وإخراج السُّؤالِ عن كونِه سؤالاً إلى معانٍ أخرى حسب سياقِ الكلامِ.

٢ – قال الله –تعالى –: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

لـمَّا ظهرت الحجَّةُ الدَّاحظةُ على قومِ إبراهيم –عليه السلام–بعد تلك المحاجَّة التي جعل فيها تماثيلهم التي يعكفون عليها من دون الله ––تعالى–حطامًا، وأبقى كبيرَهم، وأبانَ لهم بالبيانِ العمليِّ أنَّها لا تصلحُ أنْ تكونَ آلهةً، إذ هي لا تستطيعُ أنْ تدافعَ عن نفسِها من إنسانٍ عادي، فكيف لها أنْ تُدافعَ عن غيرِها؟ بل لا تنفعُ نفسها حتى تنفعَك يا مَن تعبدُها من دون الله –تعالى.

وهنا يخاطب إبراهيم –عليه السلام–عقولَهم ––إن كانت لهم عقولٌ سليمةٌ–بطريقةِ التَّوبيخِ والتَّقريعِ، إذ إنهم لو كانوا يُفكِّرونَ، ويُعملونَ عقولَهم ما عبدوا تلك الأصنام التي لا تستطيع الدِّفاعَ عن نفسِها، فإنْ كانت كذلك فهلْ تستطيعُ أنْ تنفعَ غيرَها بشيء، سواء كان فائدةً أم ضرًّا؟ [(١)].

وهذا السُّؤال الذي طرحه سيدنا إبراهيم على قومه جاء بناءً على تمهيدٍ سابقٍ له بقوله عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٢_٦٣] فقد نفَى –عليه السلام– الفعل عن نفسه، ونسبَه إلى غيره، وهذا النفيُ مخالفٌ للواقعِ ولاعتقادِه، فهو كذبٌ، والكذب مذمومٌ عنه، ويُرخَّصُ فيه للضَّرورةِ، فالإضراب ب (بل) كان تمهيدًا لحجَّتِه على النِّيَّة الكامنةِ في نفسه، وهي أنْ يتَّضحَ لقومهِ الحقُّ في آخر المشهدِ، ولذلك جاء سؤاله: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾. وإخباره بقوله:

(١) أبو حيان، "البحر المحيط" ٧: ٤٤٩.

﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾[الأنبياء: ٦٣] ليس كذبًا، وإن كان مخالفًا للواقع ولاعتقاد المتكلِّمِ؛ لأنَّ الأخبارَ إنما تَستقرُّ بأواخرها، وما يعقُبُها، مثل: الكلام المعقَّب بشرطٍ أو استثناءٍ، فإنَّه لما قصد تنبيههم على خطأ عبادتهم للأصنام مهَّد لذلك كلامًا هو جارٍ على الفرض والتَّقديرِ، فكأنَّه قال: لو كان هذا إلهًا لما رضيَ بالاعتداء على شركائِه، فلمَّا حصلَ الاعتداءُ عليهم بمحضرِ كبيرِهم تعيَّنَ أنْ يكونَ هو الفاعلُلذلك، ثم ارتقى في الاستدلال بأنْ سلبَ الإلهيَّةَ عنهم جميعًا، بقوله: ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾[1]

وبعد إجابتهم على سؤاله، واعترافهم بأنَّ هذه الآلهة التي يعبدونها لا تنطقُ ولا تُدافع عن نفسها، وجَّه إليهم –بعد عملية التَّضجُّرِ، وضيق الصَّدرِ، وغيظِ النَّفسِ، والعَجَبِ من السُّخف الذي يتجاوزُ كلَّ مألوفٍ [2]. ﴿أُفِّ لَّكُمۡ﴾–سؤالاً لتفتيح الأذهان المغلقةِ، وإعادتِها إلى رشدِها وصوابِها، فيقول: ﴿أُفِّ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، أفلا تُعمِلون عقولَكم حقيقةَ الإعمالِ، وتتفكَّرون بها في هذه المعبودات التي لا تنفعُ ولا تضرُّ، وتركتم عبادة الله –تعالى– الذي بيده مقاليد الأمور، نفعًا وضرًا، فأين عقولُكم التي خلقَها الله تعالى لكم لتعقلوا بها وتفكِّروا؟[3] وهذا السُّؤالُ استعمله –عليه السلام– توبيخًا وإنكارًا على هذا العمل[4].

ومن جمال البلاغة القرآنيَّةِ أسلوبُ الحذفِ التي استعمله القرآن في أماكنَ متعددة، ولأغراض بلاغيَّةٍ مختلفة؛ لتُعطي للقارئ إعمالَ عقلِه وذهنِه في تقديرِ هذا المحذوف، فنجده مرَّةً يحذف جملةً، ومرَّةً كلمةً، وأخرى حرفًا، وكلٌ له هدفُه ودلالتُه، والمتأمِّلُ في هذه المحذوفات بشكل عام سيجد أنَّها لم تحذف عبثًا –حاشا لله–وإنما حُذفت لأغراضٍ خاصَّةٍ، ولحذفِ المفعول بشكل عام ضربانِ:

الضرب الأول: أن يكون مقصودًا مع الحذف، فيُنوَى لدليل، ويقدَّرُ كلٌّ في موضع ما يليقُ به، والغرض حينئذ من الحذف أمورٌ[5]:

(١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ١٧: ١٠٢.

(٢) ينظر: قطب، "في ظلال القرآن" ٤: ٢٣٨٧.

(٣) ينظر: محمد مكي بن أبي طالب، "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسير وأحكامه وجمل من فنونه". تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) ٧: ٤٧٧٣.

(٤) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط" ٧: ٤٥٠.

(٥) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣: ١٦٦.

١ – قصدُ الاختصارِ عند قيامِ القرائنِ.

٢ – قصد الاحتقارِ، كقوله –تعالى–: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة:٢١]، أي: الكفَّار.

٣ – قصد التَّعميمِ، ولا سيما إذا كان في حيِّز التَّعميمِ،...، وكثيرًا مايعتري الحذف في رؤوس الآي.

٤ – تقدم مثله في اللَّفظِ، كقوله –تعالى–: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ [الرعد:٣٩]، أي: ويثبت ما يشاء.

٥ – رعاية الفاصلة.

٦ – البيان بعد الإبهام، كقوله –تعالى–: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ﴾ [الأنعام:٣٥]، والتقدير: ولو شاء جَمْعَهم لجمعَهم.

الضرب الثاني: ألا يكون المفعولُ مقصودًا أصلاً، وينزل الفعل المتعدِّي منزلةَ القاصر، وذلك عند إرادة وقوع الفعل فقط، وجعل المحذوف نسيًا منسيًا، كما يُنسَى الفاعلُ عند بناء الفعل للمفعول [(١)]. ويقول الزمخشري: تَرْكُ المفعولِ؛ لأنَّ الغرضَ هو الفعلُ لا المفعولُ [(٢)].

ومن خلال سؤال سيدنا إبراهيم –عليه السلام–نجدُه قد حذف المفعولَ للفعلِ﴿تَعۡقِلُونَ﴾، ونستطيع أنْ نستنتجَ أنَّ هذا الحذف جاء لأكثرَ من سببٍ [(٣)]:

١ –لدلالةِ الكلام عليه ووضوحه، فقد سبق سؤاله هذا حديثه عن آلهتهم وعبادتها، فيتَّضحُ أنَّ التقديرَ يكون على الشكل الآتي: تعقلونَ أنَّها حجارةٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، وأنَّها لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

٢ – الاحتقارُ لتلك الآلهة التي تُعبَدُ من دون الله –تعالى–، فهي لا تستحقُّ عنده أن تُذكرَ.

٣ – رعاية الفاصلةِ القرآنيَّةِ.

٤ – الإيجازُ، ليتركَ لهم المجال في تقديرِ المحذوف، فيُعْملون عقولهم ليتدبَّروا قوله.

٥ – وكذلك قُصِدَ منه التَّعميمُ، فليس التَّفكُّرُ في العبادة أو الشَّكلِ أو الفائدةِ والضَّررِ، بل

(١) ينظر: محمد بن عبد الله الزركشي، "البرهان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار إحياء التراث العربية، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م) ٢: ١٦٤–١٧٧.

(٢) ينظر: الزمخشري، "الكشاف" ٣: ٤٠١.

(٣) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣: ١٠٥.

بكلِّ ما يتعلق بهذه الأصنامِ واتباعِهم لآبائِهم وإعمال عقولهم.

الهداية من السؤال:

أ – أسلوب التَّدرُّجِ من أساليبِ الإقناع المهمَّةِ.

ب – الكذبُ لا يعدُّ كذبًا في أوَّلِ الحديثِ، وإنما يُنتظر حتى يُتمَّ المتكلِّمُ كلامَه.

ج – استخدامُ التَّوبيخِ والتَّقريعِ في حالاتٍ للتَّوصُّلِ إلى حقيقةٍ معيَّنةٍ، يريدها المتحدِّثُ.

د – أحيانًا يحتاجُ أنْ يكون السَّؤالُ صاعقًا قويًّا ليفتحَ الذِّهنَ المغلقَ للمحاوَر، ويعيدَه إلى رشدِه.

ه – من فنونِ السِّؤالِ حذفُ بعض الكلامِ من غيرِ إخلالٍ بالمعنى؛ ليتركَ لعقلِ السَّامعِ الحريَّةَ في تقدير هذا الحذف.

المبحث الخامس: أسئلته – عليه السلام – في سورة الشعراء

في صورةٍ جديدة لمناظرةِ إبراهيم –عليه السلام–قومَه عن تلك الآلهة التي يعبدونها، يُشهر لهم سلاحَ الاستفهامِ الذي أعياهم ردًّا وجوابًا عليه أكثر من مرَّةٍ، لما لهذا الأسلوب من بلاغةٍ عاليةٍ، وتعدُّدٍ للمعاني يفهمها المقابل أو المحاوَر، ويضعُ لها احتمالاتٍ عدَّةٍ بمقصودِ المتحدِّثِ المستفهِّم، فيبدؤها بقوله:

١– قال الله –تعالى –﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠]

في هذا المقام نجد أنَّ إبراهيمَ –عليه السلام–يستفتح حوارَه ومحاجَّته بسؤالٍ غيرِ إنكاريٍّ، وذلك استنزالاً لطائرِ نفورِهم، فكأنَّه يريدُ الإجابةَ حقيقةً على سؤالهم من غيرِ إنكارٍ أو توبيخٍ على هذه العبادة؛ ليكسِبَ ويضمنَ دخولَهم المحاوَرَة بسلامةٍ وطمأنيةٍ، فقال لهم: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ (١).

استفهم هنا سيدنا إبراهيم –عليه السلام–بـ (ما)، والاستفهام بها يُطلب به شيئان: إمَّا شرحُ الاسمِ بأنْ يُجابَ عنه بشيءٍ أكثرَ وضوحًا منه واشتهارًا، أو ماهيَّةُ الاسمِ وحقيقتُه التي هو بها (٢).

قال الشَّوكانيُّ في تفسيره لهذه الآية: "أيُّ: أيُّ شيء هو؟ جاء في الاستفهام بـ (ما) التي يستفهم بها عن المجهول، ويطلب بها تعيين الجنس"(٣).

---

(١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ١٩: ١٣٨.

(٢) ينظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣، بيروت، دار الجيل) ٣: ٦٢.

(٣) الشوكاني، "فتح القدير" ٤: ١١٣.

وقال ذلك سيدنا إبراهيم -عليه السلام-مع علمِه بأنَّهم يعبدون أصنامًا، ويعلمُ حقيقتَها وماهيتَها، إلا أنَّه أرادَ أنْ يريَهم أنَّ هذه الأصنام لا تستحقُّ العبادة في شيء، فماهيَّتُها مما يعلمون من كونها أحجارًا أو أخشابًا صنعوها بأنفسهم، ثمَّ جعلوها آلهةً تُعبَدُ من دون الله -تعالى [1].

والاستفهام هنا صوريٌّ؛ فإنَّ إبراهيم -عليه السلام-يعلمُ أنَّهم يعبدون أصنامًا، ولكنَّه أراد بالاستفهامِ افتتاحَ المجادلةِ معهم، فألقَى عليهم هذا السُّؤالَ؛ ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة عبادتهم ومعبوداتهم، فتلوح لهم من خلال شرح ذلك لوائحُ ما فيه من فساد؛ لأنَّ الذي يتصدَّى لشرحِ الباطلِ يشعرُ بما فيه من بطلانٍ عند نظم معانيه أكثرَ مما يشعر بذلك مَن يسمعُه، ولأنَّه يعلمُ أنَّ جوابَهم ينشأ عنه ما يريدُه من الاحتجاج به على فساد دينِهم، وقد أجابوا استفهامه بتعيين نوعِ معبوداتهم [2].

"وهذا من أساليب الحِجاج الرفيعة في القرآن الكريم؛ لإفحامِ الخصمِ العنيدِ بإلزامِه الحُجَّةَ، وإتيانِه من جهةِ دليلِه وبرهانِه، فساق السُّؤال على جهةِ الاستفسارِ لا الإنكارِ استنزالاً لطائر نفورهم، والتعبيرُ بالفعل المضارع (تعبدون) للدَّلالةِ على أنَّ سؤالَه كان حين تلبُّسهم بعبادة الأصنام، أو أنَّه صوَّر لهم تلك الحال تنبيهًا لهم على قبحها"[3].

والسُّؤالُ ليس عن المعبودين فحسب، بل خرجَ إلى معنًى آخرَ يريدُه إبراهيم -عليه السلام-، هل تستحقُّ هذه الأصنامُ العبادةَ؟ فلذلك كانت إجابتُهم مشتملةً على أمرهم كاملةً، كالمبتهجين والمفاخرين بها، وأظهروا ما في أنفسهم من ابتهاجٍ وافتخار، واتَّضحَ ذلك من خلال عطفِهم على قولهم: (نعبد) (فنظل)، فلم يقتصروا على زيادة نعبدُ وحده [4].

والسؤال هنا بمعنى التَّبكيت والإلزامِ بالحجَّةِ [5]. وكأنَّه يريد بذلك أنْ يصحوَ ضميرُهم

---

(١) ينظر: الزمخشري، "الكشاف" ٣:٣١٧، وعلي بن محمد المعروف بالخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح: محمد علي شاهين، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) ٣: ٣٢٦.

(٢) ابن عاشور "التحرير والتنوير" ١٩: ١٣٨.

(٣) د. عدنان مهدي الدليمي، "الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية: دراسة في سور الطواسين". (عمَّان، دار غيداء، ٢٠١٣هـ) ٢٥٦، وينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي) ١٤: ٤٧.

(٤) ينظر: الزمخشري، "الكشاف" ٣: ٣١٧.

(٥) ينظر: الحسن بن محمد النيسابوري، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان". تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ) ٥: ٢٧٣.

وعقلُهم من غفلتِه، والتي تسيطر عليها أكذوبةُ عبادة هذه الأصنامِ المصنوعةِ بأيديهم.

ويمكن طرح سؤالين هنا:

الأول: لماذا هنا قال: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ وفي سورة الصَّافاتِ قال: ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥]؟

الثاني: هل (ما) هنا بمعنى (من)؟

والإجابة عن السؤال الأول: يقول النيسابوري في تفسيره: "وإنما قال في سورة الصافات ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥]؛ لأنَّه أرادَ هناك مزيدَ التَّوبيخِ، ولذلك بَنَى الكلامَ على الزيادةِ، ثم أردف بقوله: ﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ وحين صرَّح هنالك بالتَّوبيخِ لم يجيبوه، وهاهنا ظنُّوا أنَّه يريدُ الاستفهام حقيقةً فأجابوه، ولكنَّهم لم يقتصروا على (أصنامًا)، بل زادوا ناصبَه، وعقَّبوه بقولهم: ﴿ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾؛ إظهارًا للابتهاجِ والافتخارِ"[١]. فزيادة المعنى دلَّت على زيادةِ المبنى، ففهموا منه في آيةِ الصَّافاتِ التوبيخَ، وفي الثانيةِ ظنُّوا أنَّه يريدُ حقيقةَ الاستفهام، فلم يضف على قوله: (ما تعبدون؟).

أما السؤال الثاني فيقول الماتريدي صاحب تأويلات أهل السنة: "ويحتمل، (ما تعبدون) أي: من تعبدون؟"[٢]. وسياق الكلام في إجابة السُّؤال تدلُّ بشكلٍ واضحٍ على أنَّه ليس كذلك، إذ إنَّ (مَن) يُستفهم بها للعاقل، وهو عندما سألَ أرادَ التَّوبيخَ والتَّبكيتَ لهم، فلو كانت بمعنى (مَن) هنا لذهبَ المعنى المقصودُ منه –عليه السلام–، بل وجعلها شيئًا عاقلاً يَفهمُ ويَسمع، وينفيه كذلك قوله: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢ – ٧٣].

الهداية من السؤال:

أ – تختلف طريقة السؤال مع المحاوَر نفسه من موقفٍ لآخر.

ب – صيغةُ السُّؤال واستخدامُ أداته أو حرفِه له دلالات متعددة، كما هنا (ما) و(ماذا) وغيرها.

ج –محاولة أخذ الإجابةِ من المسؤولِ وبناءِ الكلام عليه؛ ليكسبَ اعترافًا من المسؤولِ، أو

---

(١) النيسابوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ٥: ٢٧٣، وينظر: محمود بن حمزة الكرماني، "أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان". تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ) ١: ١٩.

(٢) ينظر: محمد بن محمد الماتريدي، "تأويلات أهل السنة". تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ-٢٠٠٥م) ٨: ٦٣.

الأخذِ من إجابته دليلاً يَستشهد به في الردِّ على المحاوَر، أو أخذِ دليل يتقوَّى به في حواره معه.

٢ – **قال الله –تعالى-:** ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء: ٧٢ – ٧٣]

بعد أنْ وجَّه إبراهيم –عليه السلام– سؤالَه الأوَّلَ إلى قومه في هذه المجادلة بقوله: ﴿ **مَا تَعۡبُدُونَ** ﴾ [الشعراء: ٧٠]، وأجابوه عن هذا السُّؤال، وهو يريد هذه الإجابة منهم كي يستغلَّها في جداله معهم، أتبعه بسؤالٍ آخر واستفهامٍ جديد، ومن عادة المجادِل أو المحاوِر أنْ لا يستفهم ممن يجادلُه إلا عن شيء قد علمَ جوابه، ولا بد أن تكون تلك الإجابة لمصلحته؛ لأنه ائتمنه على الجواب[١].

استعمل –عليه السلام–هنا أسلوبًا بليغًا عاليًا، وهو أسلوبُ الحذفِ، فحذف المفعول به للفعل المضارع، وتقدير هذا الحذف: (هل يسمعون دعاءكم إذ تدعون؟)، وحذفه؛ لدلالة (إذ تدعون) عليه [٢]، وليتركَ لهم تقدير ذلك المحذوف، فيتذكروا مواقفهم مع تلك الآلهة، هل أجابتْهم على دعاء من دعواتهم؟

واستعمل في هذا السُّؤال (الفعل المضارع) مع (إذ)، ومجيء الفعلِ المضارع مع إذ يكون على حكاية الماضي، فيكون معناه: استحضروا أحوالَكم الماضيةَ التي كنتم تدعونَ فيها تلك الآلهةَ، وقولوا: هل سمعوا، أو أسمعوا قطُّ، فيكون هذا الأسلوبُ أبلغَ في التَّبكيتِ لهم [٣].

وسمَّى إبراهيمُ –عليه السلام–الإجابة سمعًا؛ لأنَّ السَّمعَ سببُ الإجابةِ [٤]، فمن غيرِ الممكنِ أن تكونَ إجابةٌ من غير سماعٍ، فالسَّماعُ هو طريقُ الإجابةِ، والمؤدِّي إليها، فمن لا يسمعُ لا يجيبُ.

ويحتمل معنى السُّؤال هنا: هل يجيبونكم حين تدعونهم؟[٥]، وكأنَّه يقولُ لقومه مبيِّنًا عُوارَ عبادتهم لهذه الآلهةِ: إنَّ فعلكم هذا سفَهٌ، فإنَّ عبادةَ مثل هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله – تعالى– غيرُ مستحَقَّةٍ؛ لأنها لا تضرُّ ولا تنفع، والدَّليلُ على صحَّةِ قولي هو: هل أجابتْكم هذه

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي ١٠٩٩/١٥.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن" ١٣: ١٠٩.

(٣) ينظر: الزمخشري، "الكشاف" ٣١٨/٣.

(٤) نصر بن محمد السمرقندي، "بحر العلوم". تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض وغيره، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م) ٢: ٥٥٧.

(٥) الماتريدي، "تأويلات أهل السنة" ٨: ٦٢.

الآلهة في دعائكم لها، وطلبِ حاجاتكم منها؟[١] فخرج الاستفهام هنا من كونه استفهامًا إلى معنى آخر، وهو الذَّمُّ، فهو يذمُّ قومَه على عبادةِ هذه الأصنام التي لا تسمع الدُّعاءَ، بل لا تضرُّ ولا تنفع أبدًا، فالعبادة تكون لمن يسمعُ الدُّعاءَ ويجيبُه، ويقدِرُ على أنْ يضرَّ أو أنْ ينفعَ، وهذا ليس حال آلهتكم التي تعبدونها، بل هو حال اللهِ ربي الذي أعبده أنا[٢].

ويبدو من خلال سياق الآيات الكريمة أنّ إبراهيمَ –عليه السلام–قد وجه هذا السُّؤالَ بهذه الطَّريقةِ؛ لأنَّهم قد هدَّدوه من قبلُ بأنَّها ستضرُّه إذا خالف أمرها وعَبَدَ غيرها، فوجَّه لهم هذا السُّؤالَ تبكيتًا لهم وسخريَّةً، فهو لم يعبدها ولم تضرَّه، وهو أمامهم بصحَّةٍ كاملةٍ، يجادلهم ويحاجُّهم، وهي لا تستطيع أنْ تدفع بشيء عن سخريَّتِه وتبكيته لهم، فهذا الأمر قد أبطلَ استحقاقَها للعبادة، فهي لا تملك الضُّرَّ والنَّفعَ لأحدٍ[٣]. فإنَّ أقلَّ ما يتوفَّرُ لإله يُعبد أنْ يكون له سمعٌ يسمعُ به عابدَه الذي يتوجَّه إليه بالعبادة والابتهالِ، وهذه الأصنام التي يتوجَّهون إليها صمَّاء لا تَسمعُ، ولا تملك النَّفعَ والضُّرَّ[٤].

وهذه الحجَّةَ التي ذكرها إبراهيم –عليه السلام–في أنَّ مَن عَبَدَ غيرَه لا بدَّ أنْ يلتجئ إليه؛ ليعرفَ مرادَه، أو يسمعَ دعاءَه، ثمَّ يستجيبَ له في بذلِ منفعةٍ أو دفعِ مضرَّةٍ، فكأنَّه قال لهم: إذا كان الذي تعبدونَه لا يسمع دعاءَكم حتى يعرف مقصودَكم، ولو عرف ذلك لما صحَّ أنْ يبذلَ النَّفعَ أو يدفعَ الضُّرَّ، فكيف تعبدونه؟[٥].

ويمكن أن يكون معنى الاستفهام هنا هو النَّفي، أي: لا يسمعونَكم إذ تدعون ولا ينفعونكم ويضرون،[٦] وهو معنى محتمل، فيجمع السُّؤال بين الإنكارِ والتَّبكيتِ والسُّخرِيَّةِ والنَّفي، وهي بلاغةٌ بلاغةٌ عاليةٌ منحَها الله –تعالى–لإبراهيم –عليه السلام–لمحاجَّةِ هؤلاء، وهي الحجُّة التي آتاها الله

(١) ينظر: الماتريدي، "تأويلات أهل السنة" ٨: ٥٧٤.

(٢) ينظر: الرازي، "التفسير الكبير" ٣: ٤٧٥.

(٣) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٧: ١٦٣.

(٤) ينظر: قطب، "في ظلال القرآن" ٥: ٢٦٠٢.

(٥) ينظر: عمر بن علي بن عادل الدمشقي، "اللباب في علوم الكتاب". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م) ١٥: ٤٠.

(٦) ينظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق: محمد علي النجار، (ط٣، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م) ١: ٣٢٠.

إيَّاه في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

الهداية من السؤال:

أ – على المحاورِ أنْ يستغلَّ إجابةَ المحاوَر في حواره؛ ليقنعَه بما يريد.

ب – أنْ يعرفَ المحاورِ نقطةَ ضعفِ المحاوَر؛ ليدحضَ حجَّتَه بأقوى أسلوبٍ وأبرع طريقةٍ.

ج – استعمال الحذف المفهوم والمعروف من قبل المحاوَر أمر مهم جدًا؛ إذ يتركُ له تقدير هذا المحذوف، ووضع احتمالات تساعد المحاورِ على بلوغ هدفه من الحوار.

د – يمكن للمحاوِر خلال طرحه للسُّؤال أنْ يضمِّن سؤاله معان عدة يفهمُها المحاوَر، ولا يكون فيها غموضٌ يجعل المحاوَر في حيرة من أمره.

٣ – قال الله –تعالى –:﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۞﴾ [الشعراء: ٧٥ – ٧٨].

بعدما استمع إبراهيم –عليه السلام–إلى إجابتهم والتي فيها تحدٍّ من جهةٍ، وتجاهلٌ لسؤاله من جهةٍ أخرى إذ قالوا: ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، ردَّ عليهم بتحدٍّ على لفظ سؤالٍ، مريدًا به إعلامهم أنَّ ما تعبدونه أنتم وآباؤكم وأجدادكم الذين تتَّبعونهم في عبادتها هم أعدائي مستثنيًا رب العالمين؛ فإنْ قيل: كانوا يعبدون مع تلك الآلهةِ اللهَ –جلَّ وعزَّ–، فاستثنى هنا؛ ليعلموا أنْ ليس اللهُ من بين الأعداء بل هو الرَّبُّ الذي يعبدُه ولا يشركُ به[1].

وصيغة الاستفهام بهذا التركيبِ تُستعمل في التَّنبيهِ على ما يجب أنْ يُعلم على إرادةِ التَّعجُّبِ مما يُعلم من شأنه؛ ولذلك كثرَ إردافُه بكلامٍ يشيرُ إلى شيء من عجائب أحوال مفعول الرُّؤيةِ، كقوله –تعالى–: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۞ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾[النجم: ٣٣ – ٣٤] وغيرها في كتاب الله[2].

وعندما لم يجد إبراهيم –عليه السلام–إلا ذلك التحجُّرَ العقليَّ والتزمُّتَ بالعبادة على طريقةِ الآباء والأجداد – على حلمه وأناته التي وُصف بها – إلا أنَّه لم يجد إلا أنْ يهزمَهم بعنفٍ وقوَّةٍ، بإعلانِ العداوةِ لمعبوداتهم التي يعبدونها – ما عدا ربَّ العالمين–وتبيانًا لعقيدتهمُ الفاسدةِ التي تسمحُ لهم بعبادة هذه الآلهة التي لا تضرُّ ولا تنفعُ لاعتبارات القِدَمِ والاتباعِ لمن سبقَ، مبتعدًا بعقيدتِه

(١) ينظر: السمرقندي، "بحر العلوم: ٢: ٥٥٧.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ١٩: ١٤١.

الصَّحيحةِ، وأنْ يجاهرَ لهم بعدائه لآلهتهم وعقيدتهم وعقيدة آبائهم [(١)].

وفي هذا السؤال حثٌّ لهم وتحضيضٌ، فهو يقول لهم: "هل نظرتم، فأبصرتم، وتفكَّرتم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام التي لا تَسمعُ ولا تنفعُ ولا تضرُّ حتى تعلموا أنَّكم على ضلالةٍ وجهالةٍ"[(٢)].

وصيغة التحدي جاءت بقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾، فإن كان بقدرتهم أنْ يضرُّوني بأدنى شيء من الضَّررِ، أو يكيدوني بأي كيد يشاؤون، فليفعلوا؛ فإنَّهم لا يقدرون البتةَ، لأنَّني محميٌّ من الرَّبِّ الذي صفاتُه التي سأذكرها لكم بعد [(٣)]. وهمزة الاستفهام هنا للإنكارِ المتضمِّنِ معنى الاستهزاءِ والسُّخريَّة [(٤)].

ونجد براعة من سيدنا إبراهيم –عليه السلام–في هذا السُّؤال في التَّعبيرِ والوصفِ، فقد وصف آلهتهم، وذكرها بأقل موصوفٍ، وأوجزِ عبارةٍ، وهي العداوةُ بينه وبينهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾ فوصفهم بالواحد وهو المصدر (عدو)، والذي يصلُحُ لوصفِ الفردِ ووصفِ الجماعة؛ لدلالةٍ جميلةٍ، وهي أنَّ كلَّ معبودٍ لكم بذاته عدوٌّ لي، ثمَّ ضربَ صفحًا عنهم، وانتقل بأسلوب مغايرٍ، لينتقلَ بلطف إلى ذكر معبودِه الحقِّ بأوصافٍ عديدة حتى كأنَّه لا يكادُ يسكت، إذ مضَى يقول: والذي.. والذي..؛ ليشعرَهم، ويُعْلِمَهم بمحبته لهذا الإله؛ لأنَّ مِن أماراتِ المحبة كثرةَ ذكرِ المحبوب، وكثرةَ أوصافِه وأفضالِه، فالمحبُّونَ يُسهبونَ في الثَّناء على محبوبهم، ويُعرضون عن ذكرِ غيره[(٥)].

وهذا كلام بديع ذكره الزمخشري في كشافه، قائلاً: " لمَّا أجابوه بجواب المقلِّدين لآبائِهم قال لهم: رِقُّوا أمرَ تقليدكم هذا إلى أقصَى غاياته، وهي عبادةُ الأقدمين الأوَّلين من آبائكم، فإنَّ التقدُّمَ والأوَّليَّةَ لا يكون برهانًا على الصِّحَّةِ، والباطلَ لا ينقلبُ حقًّا بالقِدَم، وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له، ومعنى العداوة قوله –تعالى–: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾

(١) ينظر: قطب، "في ظلال القرآن" ٥: ٢٦٠٢.

(٢) الشوكاني، "فتح القدير" ٤: ١٢١، وينظر: أبو السعود، "إرشاد العقل السليم" ٦/٢٤٨.

(٣) ينظر: تفسير السعدي ٥٩٢/١.

(٤) ينظر: محيي الدين درويش، "إعراب القرآن وبيانه". (ط٤، حمص دار الإرشاد، وغيرها، ١٤١٥هـ) ٧: ٨٦.

(٥) ينظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري "لطائف الإشارات". تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط٣، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٣/٣، الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ٣: ٤٧٠.

[مريم: ٨٢]، ولأنَّ المغريَ على عبادتها أعدَى أعداءِ الإنسان وهو الشَّيطانُ، وإنما قال: عَدُوٌّ لِي تصويرًا للمسألةِ في نفسه، على معنى: أنِّي فكرتُ في أمري فرأيتُ عبادتي لها عبادةً للعدوّ، فاجتنبتها، وآثرتُ عبادةَ مَنِ الخيرُ كله منه، وأراهم بذلك أنَّها نصيحةٌ نَصَحَ بها نفسه أوّلا وبنَى عليها تدبيرَ أمره، لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصحَ به نفسَه، وما أرادَ لنا إلا ما أرادَ لروحه؛ ليكونَ أدعى لهم إلى القَبولِ، وأبعثَ على الاستماع منه. ولو قال: فإنه عدوٌّ لكم لم يكن بتلك المثابةِ، ولأنَّه دخلَ في باب من التَّعريضِ، وقد يبلغ التعريضُ للمنصوحِ ما لا يبلُغه التَّصريحُ؛ لأنَّه يتأمَّلُ فيه، فربما قاده التأمّل إلى التَّقبُّل"[١].

الهداية من السؤال:

أ – يجوز للسائل أنْ يذكرَ بعض الصفاتِ لشيء ما إذا كان ذلك يُفيدُ في عملية الإقناعِ للمحاوَرِ.

ب – على المحاوِر أو المقنِع أنْ يضمِّنَ كلامه تعريضًا بالنُّصح، والإرشادِ، والدَّلالةِ على الحقِّ بما يفعل من ذلك كله بنفسه، فالتَّعريضُ أحيانًا يبلغُ في نفسِ المنصوح ما لا يبلغه التَّصريحُ.

ج – يفضَّلُ للسائلِ أنْ يستعملَ أسلوبَ الإيجاز في سؤالِه مع وضوح كاملٍ لدلالةِ المرادِ من كلامِه.

(١) الكشاف، الزمخشري، ٣/٣١٨-٣١٩.

المبحث السادس: أسئلته – عليه السلام – في سورة الصافات

١ -قال الله –تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٥].

ابتدأ إبراهيم –عليه السلام–محاورته هذه بسؤال موجه إلى أبيه وقومه: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ كما ابتدأها في سورة الشعراء بسؤال مقاربٍ له لفظًا، فقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، وكما قلنا سابقًا فإنَّ محاورةَ إبراهيم –عليه السلام– ليست مرحلةً واحدة، بل هي مراحل عدَّة، ويشهد عليه تاريخ رسولنا محمد –صلى الله عليه وسلم– فقد حاورَ قومَه مراتٍ ومراتٍ، وفي كلِّ مرة يتوجَّه إليهم بكلام مغاير لغيرِه؛ لأنَّ لكل مقامٍ مقالاً، وهذا ما فعله سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع قومه.

والاستفهام هنا توبيخيٌّ وإنكاريٌّ، يوبِّخهم وينكرُ عليهم عبادة تلك الأصنام من دون الله –تعالى[١].

فهل هناك فرق بين السؤالين؟ وإن كان هناك فرق فما هو؟

١ – قيل: إنهما بمعنى واحد، وهذا ما ذكره الماتريدي في تفسيره إذ قال: "يحتمل قوله: ﴿مَاتَعْبُدُونَ ﴾ على ما ذكر في آية أخرى: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾"[٢]، وهذا ما يؤيِّدُه كلام صاحب ملاك التَّأويلِ بقوله: "يسأل عن زيادةِ اسم الإشارة في قوله:﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ وسقوطها في سورة الشعراء؟

والجوابُ عن ذلك أنَّ قَصصَ الرُّسلِ –عليهم السَّلام–مع أممهم لم تأتِ في القرآنِ العظيم على نهجٍ واحد في الدُّعاءِ، والجواب، والمراجعة، والمحاورة، ولا يمكن ذلك لاختلافِ طباعِ الأممِ وأغراضِهم واختلاف الحالاتِ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ، فمرَّةً ترد القصة على الدعاء، وإبداء الحجة، والتوبيخ من غير ذكر شيء من جواب المدعوين سوى الإخبارِ بتكذيبِهم، ومرَّةً يوردُ من مقالاتِ الأمم لرسلهم اليسير، ومرَّةً يمدُّ إطنابَ الكلامِ في المحاورات بين الرُّسلِ والأمم.

فمن الضَّرب الأوَّل: قولُ إبراهيم –عليه السلام–في سورة الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخر القصة، ولم يرد فيها كلمة واحدة من مراجعتهم له سوى الوارد من قولهم: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، وليس هذا بمراجعة له ولا جواباً على كلامه –عليه السلام.

ومن الضَّربِ الثاني: آيةُ الشُّعراء فإنَّه ذكر فيها جوابَهم بقوله —تعالى–مخبراً عنهم: ﴿ قَالُوا۟

(١) ينظر: منصور بن محمد السمعاني، "تفسير القرآن". تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، (ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م) ٤: ٤٠٣.

(٢) الماتريدي، "تأويلات أهل السنة" ٨: ٦٢.

نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [الشعراء: ٧١]، ثم لـمَّا سألهم –عليه السلام– تقريعاً لهم وتوبيخاً، فقال: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء: ٧٢ – ٧٣]، أجابوا بقولهم: ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٤].

ومن الضَّرب الثَّالث: قصةُ شعيب –عليه السلام– في سورة هود وأشباهها، وتأمَّل القَصص الواردة في القرآن تجدها جارية على ما ذكرته، فلما كان في آية الصَّافات دعاءُ إبراهيم –عليه السَّلام– لهم مبيِّناً حالَهم الشَّنيعَ وسيِّءِ مرتكبهم ممتد الإطنابِ فيما يقطع بهم من قوله: ﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦]، وقوله: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾ [الصافات:٩٥]، وعيوا بالجواب، ولم يُحكَ عنهم غيرُ قولهم: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٩٧]، ناسبَ ذلكَ زيادةَ اسمِ الإشارةِ، ولما كانت آيةُ الشُّعراءِ واردةً على غيرِ هذا النَّهجِ ناسبَ سقوطَ اسمِ الإشارة فقيل: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ ولم يقل (ماذا) كما في آية الصَّافات، ومنَ المفهومِ عن العربِ أنَّ المستفهِم إذا قصدَ التَّقريعَ والتَّوبيخَ أطالَ كلامَه إدلاءً بحجَّتِه وتعنيفاً لمن يُخالفُه، والمقهورُ أبداً محصورٌ"[1].

٢ – جاءت الزيادة (ذا) هنا؛ لأنَّه أرادَ زيادةَ توبيخٍ لهم، بانيًا كلامَه على هذه الزِّيادةِ، فأتبعه بقوله: ﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦]، وحين صرَّحَ هنا بالتَّوبيخِ لم يجيبوه على سؤالِه؛ لأنَّهم علموا مرادَه وهو التَّوبيخُ. وهناك ظنُّوا أنَّه يريد الاستفهامَ حقيقةً فأجابوه على سؤالِه، وبسطوا في كلامهم وإجابتِهم بسطًا، ولم يقتصروا على (أصنامًا)، بل زادوا وعقَّبوا على ذلك بقولهم: ﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [الشعراء: ٧١] إظهارًا للابتهاجِ والافتخارِ[2].

٣ – وقيل: "ما" هي لمجرَّدِ الخطابِ أو الاستفهام، فأجابوه على سؤالِه، و(ماذا) فيه مبالغةٌ، وتضمينٌ للتَّوبيخِ، فلما وبَّخهم لم يجيبوه[3].

---

(١) أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل". وضع حواشيه: عبد الغني محمد الفاسي، (بيروت، دار الكتب العلمية) ٢: ٣٦٧.

(٢) النيسابوري، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ٥: ٢٧٣.

(٣) محمود بن حمزة الكرماني، "غرائب التفسير وعجائب التأويل". تحقيق: د. شمران سركال العجلي، (جدّة، دار القبلة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن) ٢: ٨٣٣، والفيروز آبادي "بصائر ذوي التمييز" ١/٣٤٧.

واختلف أيضًا قول إبراهيم -عليه السلام- هنا: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، وقوله في مكان آخر: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فقد ذكر في الموضع الثاني إجابتهم على السؤال قائلين: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ وفي مكان آخر على سؤال: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ فأجابوا بقولهم: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾، ولم يذكر في موضع هذه الآية الكريمة شيئًا من ذلك، فلم يجيبوه على سؤالِه، فيعزو الماتريدي ذلك إلى أنَّه لم يجيبوه بهذا اللِّسانِ بما أجابوه به، وإنما ذكره على اختلافِ الألفاظِ والحروفِ؛ ليعلمَ أنَّ تغييرَ الحروفِ والألفاظِ لا يُغيِّرُ المعنى، وشمل كلَّ ما فيه اختلاف في جميع قصص القرآن الكريم يذكرها مكرَّرة معادة مختلفةَ الألفاظ والحروف والقصةُ واحدةٌ؛ ليدلَّ على أنَّ المأخوذَ والمقصودَ من الكلامِ معناه وليس لفظَه وحروفَه(١).

٤ – وقيل: معناه: لماذا تعبدون هذه الأوثان (٢).

الهداية من السؤال:

أ – التَّفنُّنُ في عمليَّةِ طرح السُّؤالِ والتَّنوعِ فيه بما يتوافقُ وحالةَ المحاوَر أو مقامَه أو سياقَ الحديث والمقال.

ب – عند طرح السُّؤال يجب أنْ يكون القلبُ صافيًا لا يريدُ إلا الخيرَ للمسؤولِ وإثبات الحقيقة؛ لذلك سبقَ هذه الآية بقوله -تعالى-: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]

٢ – قال الله -تعالى-: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦]

بعد أنْ عرفنا بأنَّ السُّؤالَ السَّابقَ لم يكن للاستفهام، وإنما كان للتَّوبيخِ والإنكارِ عليهم على ما يعبدون من دون الله -تعالى-، يستمرُّ إبراهيم -عليه السلام-في توبيخه لهم، ومبيِّنًا سببَ التَّوبيخ بطريقةٍ أو بأخرى، فيقول لهم: إنَّ تمسُّككم بهذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله – تعالى-هو كذب وافتراء، فهي ليست بالآلهةِ التي تُعبَدُ، وإنما هي آلهةُ دون الله —تعالى-ودون عبادته (٣).

والإفكُ: قلبُ الشَّيء عن جهتِه، أو قلبُ المعنى عن حقِّه إلى باطلٍ، وأَفَكَهم، يعنى:

---

(١) ينظر: الماتريدي، "تأويلات أهل السنة" ٨: ٥٧٢.

(٢) السمرقندي، "بحر العلوم" ٣: ١٤٥.

(٣) ينظر: الماتريدي، "تأويلات أهل السنة" ٨: ٥٧٢-٥٧٣.

صَرَفَهُم[1]، وسمِّي إفكًا؛ لأنَّه لا حقيقةَ له في الواقع، بل هو كذبٌ وزورٌ وتمويهٌ[2].

والاستفهامُ هنا هو للإثباتِ، فيُثبتُ أنَّهم قد فعلوا فعبدوا غيرَ الله –تعالى–، بمعنى: قد فعلْتُم؛ فعبدتموهم دونه [3]. ويمكن أنْ يكونَ هذا السُّؤالُ لتحديدِ جهةِ الإنكارِ عليهم وموضعِ غلطِهم، ألا وهي عبادةُ غيرِ الله –تعالى–، فهي آلهةٌ كاذبة بل أسوأ أنواع الكذبِ [4].

ويمكن أنْ يكونَ الكلام هنا بمعنى: تطلبون آلهة كاذبة، أي: تطلبون منها ما يطلب من الله – تعالى [5].

وفي هذا السؤال حسب أقوال العلماء نَحْويًا قولان هما:

١ –قدم المفعول على الفعل؛ وذلك للعنايةِ بالمفعولِ، وهو بذلك يريد التَّأكيدَ على أنَّ هذه المعبوداتِ لا تستحقُّ ذلك، فهي إفكٌ وكذبٌ وافتراءٌ.

جاء في الكشاف أنَّ "أئفكًا" مفعولٌ له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكًا؟ وإنَّما قدَّمَ المفعولَ على الفعل للعنايةِ، وقدَّم المفعولَ له على المفعولِ به؛ لأنَّه كانَ الأهمُّ عنده أنْ يكافحهم بأنَّهم على إفكٍ وباطلٍ في شِركهم، ويجوزُ أن يكون إفكًا مفعولاً، يعني: أتريدون به إفكًا"[6].

٢ – ويمكن أنْ يكون (إفكًا) مفعولاً مطلقًا لفعلٍ محذوفٍ تقديره: أتأفكون إفكًا، وتعبدون آلهة سوى اللهِ –جل وعز– [7].

الهداية من السؤال:

أ – استعمال الأساليب العربية في تقديم الكلام وتأخيره؛ لما فيه من اختلاف معنى وتأكيد

---

(١) ينظر: محمد بن الحسن بن فورك، "تفسير ابن فورك". تحقيق: علال عبد القادر بندويس، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م) ١: ١٢٥.

(٢) ينظر: محمد صديق خان القنوجي، "فتح البيان في مقاصد القرآن". عني بطبعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ–١٩٩٣م) ٤: ٤٢٩.

(٣) محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زمنين، "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة، دار الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م) ٤: ٦٤.

(٤) ينظر: القشيري، "لطائف الإشارات" ٣: ٢٣٥.

(٥) السمعاني، "تفسير القرآن" ٤: ٤٠٤.

(٦) الزمخشري، "الكشاف" ٤: ٤٩.

(٧) ينظر: البغوي، "معالم التنزيل" ٤: ٣٤، وعبد الرحمن بن علي الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير". (ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ) ٣: ٥٤٤.

على شيء تريده من سؤالك عنايةً به.

ب – يمكن للمحاورِ أو المتحدّث أنْ يطرح أكثرَ من سؤالٍ إذا لم يكن غرضُه سماعَ الإجابة من المحاوَر، وإنما لغرض بلاغيٍّ آخر، كالتَّوبيخِ والتَّقريعِ وغيرها.

٢ – قال الله –تعالى-: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧]

يستمر أبونا إبراهيم –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام–في طرح الأسئلة عليهم، مبطِّنًا تلك الأسئلةِ بتهديدٍ ووعيدٍ، فبعد أنْ بيَّنَ لهم موضعَ خطئهم في السُّؤال السابق، وهو أنَّ عبادَتَهم كاذبةٌ غيرَ صحيحةٍ، فيها قلبٌ للجهةِ الحقيقة مسمِّيًا ذلك بالإفك، وجَّه إليهم سؤالاً يقول فيه: إذا عبدتم غيرَ اللهِ —تعالى–ربِّ العالمين الإلهِ الحقِّ المتَّصفِ بصفاتِ الكمال من قدرةٍ وعظمةٍ وجبروتٍ، هل تظنُّونَ أنْ يعاملَكم في الخاتمةِ معاملةً حسنةً، ويغفرَ لكم شِركَكم الذي أشركتموه معه؟

وهو استفهامُ توبيخٍ وتحذيرٍ وتوعُّدٍ، أي: أيُّ شيءٍ ظنُّكم بمستحقِّ العبادةِ، فهو ربُّ العالمين، فتركتُم عبادتَه، وجعلتم له عديلاً هي الأصنام تعبدونها من دونه؟ فما تظنُّونَه فاعلاً بكم بفعله؟ وما عقابُه الذي سينزلُه بكم، وحالكم هذه عبادة غيره؟ وهذا مثلُ مَن يسيءُ إلى فلانٍ أو علانٍ من النَّاس، فهل تظنُّ أنْ يوقعَ بك خيرًا مقابلَ إساءَتك إليه؟ (١)

ويمكنُ أن يكونَ الاستفهام أُريد به الإنكارُ والتَّوقيفُ على الخطأ، كما أريدَ بالظَّنِّ: الاعتقاد الخطأ، وسمِّي ظنًا؛ لأنَّه غيرُ مطابقٍ للواقعِ، ولم يسمِّه علمًا؛ لأنَّ العلمَ لا يطلقُ إلا على الاعتقادِ المطابقِ للواقع، ولذلك عرَّفوه بأنَّه: صفةٌ تُوجبُ تمييزًا لا يحتملُ النَّقيضَ. ولا ينتفي احتمالُ النقيض إلا متى كان موافقًا للواقع (٢).

يقول الرازي –رحمه الله–"فيه وجهان، أحدُهما: أَتَظُنُّونَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ يُجَوِّزُ جَعْلُ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ مُشَارَكَةً لَهُ فِي الْمَعْبُودِيَّةِ، وَثَانِيهَا: أَتَظُنُّونَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ هَذِهِ الْأَجْسَامِ حَتَّى جَعَلْتُمُوهَا مُسَاوِيَةً لَهُ فِي الْمَعْبُودِيَّةِ فَنَبَّهَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (٣). وهو تحذير موجَّه إليهم بمعنى: ما ظنُّكم إذا لقيتموه وأنتم قد عبدتم غيرَه من هذا الإفك؟ وهذا كما في قوله –تعالى–: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقيل: أيُّ شيءٍ أوهمتوه حتى أشركتم به غيره؟(٤).

---

(١) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط" ٩: ١١٠.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٢٣: ١٣٩–١٤٠.

(٣) الرازي، "التفسير الكبير" ٢٦: ٣٤١.

(٤) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" ٩٢/١٥.

يقول البيضاوي -رحمه الله -تعالى--: "فما ظنكم برب العالمين؟ بمن هو حقيقٌ بالعبادة لكونه ربًا للعالمين حتى تركتم عبادته، أو أشركتم به غيرَه أو أمِنتُم من عذابِه، والمعنى: إنكارُ ما يوجبُ ظنًا، فضلاً عن قطعٍ يصدُّ عن عبادته، أو يجوزُ الإشراكُ به، أو يقتضي الأمنَ من عقابه على طريقة الإلزامِ، وهو كالحجَّة على ما قبله"(١).

ويمكن أنْ يقال: هل ظنُّكم أنَّه -تعالى-من جنس تلك المعبودات التي تعبدونها من دونه كالأصنام والنجوم وغيرها، فجعلتموها مساوية له في العبادة التي لا تكون إلا خالصة له -تعالى-، فهو المستحق لذلك -تعالى-بصفاته الفريدة التي لا يشابهه فيها أحد، أو أنها تستحق أن تكون تلك الجمادات تشاركه في العبودية (٢).

وحذف الجواب هنا لأنه لا حاجةَ للجواب، أو أنه ترك تخيل الإجابة للسُّؤال لنا للنَّظرِ والتأمُّلِ الدَّقيقِ لتلك العقولِ النَّتنةِ، وعدم اتباع أسلوبهم في التَّفكيرِ والعملِ، فهي عقولٌ لا تعملُ ومعطلةٌ؛ ليحذِّرَنا، ويدفعَنا للعمل بعقولنا كما حثَّنا في القرآن الكريم بآيات كثيرة. والله أعلم.

الهداية من السؤال:

أ – إمكانيَّةُ تضمينِ السُّؤالَ التَّهديدَ والوعيدَ، إذا وجد المحاوِر صدودًا وشرودًا وبعدًا عن الحقِّ، فإنَّ الحكمةَ تتنوعُ، فبعض النَّاس ينفعُهم اللِّينُ والتَّرغيبُ، وبعضُهم تردعُه الشِّدَّةُ والقساوة.

ب – يمكن أنْ ترشدَ المحاوَرَ إلى موضعِ الخطأ وتوقفَه عليه؛ لتساعدَه في تجاوُزِه أو تصحيحِه.

---

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل" ١٣/٥.

(٢) ينظر: محمد بن عمر الجاوي، "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد". تحقيق: محمد أمين الصناوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ) ٢: ٣٠٤.

الخاتمة:

الحمد لله الذي ببركته وفضله تتم الصالحات، وبعد هذا التطواف مع أسئلة أبينا إبراهيم – عليه السلام–لأبيه وقومه، نخرج بنتائج وتوصيات هي:

أولاً –النتائج:

١ – يأتي السؤال في القرآن الكريم على أنواع متعدِّدةٍ، كالسُّؤالِ الاستفهاميِّ والإنكاريِّ والتَّوبيخيِّ والطَّلبيِّ، والتَّقريريِّ.

٢ – استخدم أبونا إبراهيم طرقًا متعدِّدةً في طرح أسئلتِه على أبيه وقومه، كالاستفهام والتَّوبيخِ والتَّقريعِ و.... .

٣ – يكون طرحُ الأسئلةِ حسب المقابلِ لك، فيُفضَّل أنْ يكونَ بالتدرُّجِ، فيبدأ من الأدنى إلى الأعلى، ومنَ الأسهل إلى الأصعب.

٤ – قد يحتاجُ السَّائل إلى توجيه السُّؤالِ بصيغة قويَّةٍ وشديدةٍ، وعدم مداهنةٍ ومماراةٍ لأنَّه يعطي صورةً وانطباعًا عنه وعن قوته في المحاورة.

٥ – يكون القصد أحيانًا من طرح السُّؤال إيقافُ المحاوَر عن مجادلتِه، فتكون حجَّة السائل قويَّةً دامغةً، أو تكون حجَّةُ المحاوَر ضعيفةٌ لا ترقى إلى أنْ يُستدل بها.

٦ – يمكن أنْ يكونَ السُّؤال للاعتراض على المحاورةِ أو المحاجَّة نفسِها.

٧ – أحيانًا يُتركُ السُّؤالُ مفتوحَ النهايةِ ليُعملَ المسؤولُ عقلَه في استنتاج النِّهايةِ والتَّدبُّرِ فيها حسب ما يقتضيه الحالُ.

٨ – يمكن أنْ يكونَ السُّؤالُ للتَّنبيه على خطأ معينٍ أو موضعِ الخطأ.

٩ – قد يخرج السُّؤال إلى أكثرَ من معنى في آن واحد، كالإنكار والتوبيخ والتقريع و....

١٠ – من فنون السؤال حذف كلمة، أو جملة، أو إثباتها، وذلك لدلالةٍ واضحة يقصدها السَّائلُ.

١١ – يمكن للسائلِ أن يأخذَ إجابةً معيَّنةً من فم المسؤولِ ليستدلَّ بها على خطأ المسؤول أو إيقاع الحجَّةِ عليه.

١٢ – في حالة طرح السُّؤال على السَّائلِ أن يختار الكلام المناسب الذي لا يُشعرُ المحاوَر بالتَّعالي والتَّكبرِ.

١٣ – يُطرح السُّؤال من قبل السَّائل رغم معرفتِه بالإجابةِ، والمقصودُ من وراء ذلك الوصولُ إلى غرضٍ يستدلُّ به على ما يريدُ، أو يكسب اعترافًا أو دليلاً يستشهد به، ليُقنعَ المسؤول.

١٤ – صيغة السُّؤال، واستخدام أداته، أو حرفه له دلالاتٌ متعدِّدةٌ.

١٥ – يفضَّل للسائل أن يستعملَ أسلوبَ الإيجازِ في سؤالِه مع وضوحٍ كاملٍ لمراده، إلا إذا اقتضتِ الحاجةُ إلى الإطناب.

١٦ – يجب أن يكون الغرضُ من السُّؤالِ هو إثباتُ الحقيقةِ، وسلامةُ القلبِ مهمَّة في ذلك.

١٧ – يمكن طرح أكثرَ من سؤالٍ في آن واحد إذا لم يكنِ الغرضُ من السُّؤال سماعَ الإجابة.

١٨ – يمكن تضمينُ السُّؤال التَّهديدَ والوعيدَ إذا وُجِدَ منَ المسؤولِ الصُّدودَ والشُّرودَ والبعدَ عن الحقِّ، فإنَّ الحكمةَ تتنوعُ، فبعضُ الناس ينفعُهم اللِّينُ والتَّرغيبُ، وبعضهم تردعُه الشِّدَّةُ والقساوةُ.

ثانيًا -التوصيات:

١ – دراسة ما تبقى من أسئلة أبينا إبراهيم –عليه السلام–كأسئلته لرب العزة.

٢ – الإفادة من أسئلةِ القرآن الكريم بشكل عام في مادةِ مهارات الاتصال.

٣ – دراسة فنون السُّؤال في القرآن الكريم، والإفادة منها في دوراتِ الحوار مع الآخر.

٤ – دراسة أسئلةِ الأنبياءِ –عليهم السلام–بشكل عام، وطرقها وأساليبها.

هذا ما فتحه الله –تعالى–علينا في هذا البحث، ونسأل الله –تعالى–التوفيق والقبول، ونستغفره عن الخطأ والزلل، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

الآلوسي، محمود بن عبد الله، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

ابن الأثير، المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الأصفهاني، الحسين بن محمد، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية ١٤١٢هـ).

البغوي، الحسين بن مسعود، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي).

البيضاوي، عبد الله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي" (مصر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م) الموسوعة الشاملة.

الجاوي، محمد بن عمر، "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد"، تحقيق: محمد أمين الصناوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، "زاد المسير في علم التفسير"، (ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ).

حبنكة، عبد الرحمن حسن، "البلاغة العربية، أسسها وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد"، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

ابن حجة، بو بكر بن علي "خزانة الأدب وغاية الأرب". تحقيق: عصام شقيو، (بيروت، جار ومكتبة الهلال، ودار البحار، ٢٠٠٤م)

الحرضي، يحيى بن أبي بكر، "بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل". (بيروت، دار صادر).

أبو حيان، محمد بن يوسف، "البحر المحيط في التفسير"، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

الخازن، علي بن محمد الشيحي "لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراض على تفسير البيضاوي" (بيروت، دار صادر).

درويش، محيي الدين بن أحمد، "إعراب القرآن وبيانه". (ط٤، حمص، دار الإرشاد، وبيروت، ودار اليمامة، ودمشق، دار ابن كثير، ١٤١٥هـ).

الدليمي، عدنان مهدي، "الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية". (عمّان، دار غيداء، ٢٠١٣م).

الرازي، محمد بن عمر الرازي "التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

رضا، محمد رشيد، "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).

الزبيدي، محمد بن محمد، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (بيروت، دار الفكر).

ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، (بيروت، دار الكتب العلمية).

الزركشي، محمد بن عبد الله، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار إحياء التراث العربية، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

الزمخشري، محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل"،، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

ابن أبي زمنين، "تفسير القرآن العزيز"، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة، دار الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

أبو زهرة، محمد، "المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، (بيروت، دار الفكر العربي).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

السمرقندي، نصر بن محمد، "بحر العلوم"، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض وغيره، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

السمعاني، منصور بن محمد، "تفسير القرآن". تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، (ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (دمشق، دار القلم).

سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (ط١٧، بيروت-القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ).

الشوكاني، "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"، (ط١، دمشق، دار ابن كثير، وبيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).

ابن أبي طالب، مكي، "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه"، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

الطالقاني، إسماعيل بن عباد، "الأمثال السائرة من شعر المتنبي". تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بغداد، مكتبة النهضة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

ابن عادل، عمر بن علي، "اللباب في علوم الكتاب"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)"، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

ابن فورك، محمد بن الحسن، "تفسير ابن فورك"، تحقيق: علال عبد القادر بندويش، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الأسلامية، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م).

القحطاني، د. سعيد بن علي، "مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله -تعالى-في ضوء الكتاب

والسنة"، (الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان).

القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، بيروت، دار الجيل).

القشيري، عبد الكريم بن هوازن، "لطائف الإشارات"، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط٣، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

القنوجي، محمد صديق خان، "فتح البيان في مقاصد القرآن"، عني بطبعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ-١٩٩٣م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان"، (القاهرة، مكتبة القرآن عابدين، ١٩٩٤م.

كحيل، وردة مصطفى، "السؤال في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)"، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية في غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة، "أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان". تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ).

الماتريدي، محمد بن محمد "تأويلات أهل السنة"، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

مطلوب، د. أحمد، "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها"، (بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م).

ابن معصوم، علي بن أحمد، "أنوار الربيع في أنواع البديع" تحقيق: شاكر هادي شكر (ط١، النجف، مطبعة النعمان، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، (ط ٣، بيروت، دار صادر).

النجدي، محمد بن عبد الوهاب، "تفسير آيات من القرآن الكريم" (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج٥)، تحقيق: د. محمد بلتاجي، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود).

النسفي، عبد الله بن أحمد "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، تحقيق: مروان محمد الشعار،

(بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٥م).

النيسابوري، الحسن بن محمد، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان". تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).

Bibliography

Al-Alousi, Mahmoud bun Abdillah. “Rouh Al-Ma’ani fee Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa Sab’i Al-Mathaani”. Investigated by: Ali Abdil Baari Attiya. (Beirut, darr Al-Kutub Al-Ilmia, 1415 AH).

Ibn Al-Atheer, Almubarak bun Ahmad. “An-Nihaayat fee Ghareeb Al-Hadeeth wal Atharr”. Investigated by: Tahirr Ahmad Az-Zaawi, and Mahmoud Muhammad At-Tanaahi. (Beirut, Maktabat Al-Ilmia, 1399 AH, 1979).

Al-Asfahaani, Alhusain bun Ahmad. “Almufradaat fee Ghareeb Al-Quran”. Investigated by: Shafwaan Adnaan Ad-Dawoudi. (Damascus, Darr Alqalam, Beirut, Darr Ashamiyah, 1412 AH).

Al-Baghawi, Husain bun Mahmoud. “Ma’alim At-Tanzeel fee Ahkaam Al-Quran”. Investigated by: Abdurazaaq Al-Mahdi. (Beirut, Darr Ihyaa At-Turath Al-Arabi, 1420 AH).

Al-Baqaa’i. “Nazm Ad-Durarr fee Tanasub Al-Ayaat wa As-Suwarr”. (Cairo, Darr Al-Kitab Al-Islami).

Al-Baidaawi, Abdullah bun Umar. “Anwaar AtTanzeel wa Asraar At-Taaweel”. Investigated by: Muhammad Abdurrahman Al-Marr’ashli. “Beirut, Darr Ihyaa At-Turath Al-Arabi, 1418 AH).

As-Sha’raawi, Muhammad Mutawali. “Tafseer As-Sha’raawi”. (Egypt, Akhbaar Al-yawm Printings, 1997). Almawsou’a AsShamilah.

Al-Jwai, Muhammad bun Umar. “Maraah Labeed li Kashf Ma’ani Al-Quran Al-Majeed”. Investigated by: Muhammad Ameen As-Shanaaqi. (Beirut Darr Al-Kutub Ilmia, 1427 AH).

Ibn Al-Jawzi, Abdurrahman bin Ali. “ZAad Al-Maseer fee Ilm At-Tafseer”. (3rd edt. Beirut, Almaktab Al-Islaami, 1404 AH).

HAbankah, Abdurrahman bun Hasann. “Al-Balaagha Al-Arabia, Ususuha, wa Uloumuha wa Funounuha wa Shuwarun min Tatbeequha min Haikalin Jadeed baina Tareefin wa Taleed”. (Damascus, Darr Alqalam, Beirut, Darr Ashamiyah, 1416 AH, 1996).

Ibn Al-Hujja, Abu Bakr bin Ali, “Khazanat Al-Adab wa Ghayat Al-Arab”. Investigated by: Ishaam Shaqyu. (Beirut, Darr wa Maktabat Al-Hilal, Darr Al-Biharr, 2004).

Al-Haradi, Yahya bun Abibakr. “Buhjat Al-Mahaafil wa Bughyat Al-Amathil fee Talkhis Al-Mu’jizaat wa As-Siyar wa As-Shamaail”. (Beirut, Darr Shadirr).

Abu Hayyaan, Muhammad bun Yusuff. “Al-Bahr Al-Muheet fee At-Tafseer”. Investigated by: Sidqi Muhammad Jameel. (Beirut, Darr Al-Fikr, 1420 AH).

Al-khazin Ali bun Muhammad As-Sheihi. “Lubaab At-Taaweel fee Ma’ani At-Tanzeel”. Restified by: Muhammad Ali Shaheen. (Beirut, Darr Alkutub Alilmiyah 1415 AH).

Al-Khafaji, Shihaab Ad-Deen Ahmad bin Muhammad. “Hashiyat As-Shihaab alaa Tafseer Al-Baidaawi = Inayyat Al-Qaadi wa Kifaayat Al-Raadi alaa Tafseer Al-Baidaawi”. (Beirut, Darr Sadirr).

Darwish, Muhyi Ad-Deen bun Ahmad. “I’raab Al-Quran wa Bayaanuh”. (4th edt. Hums, Darr Alirshaad, Beirut, Darr Al-Yamaama, Darr ibn Katheer 1415 AH).

Ad-Daylami, Adnaan Mahdi. Ali’jaaz Al-balaaghi fil Qissah Al-Qur’ani ”. (Umann, Darr Ghaidaa 2013 AH).

Ar-Raazi, Muhammad bun Umar Ar-Raazi. “At-Tafseer Al-Kabeer = Mafaateeh

Al-Ghaib". (3rd edt. Beirut, Darr Ihyaa At-Turath Al-Arabi 1420 AH).
Ridaa Muhammad Rasheed. "Tafseer Al-Quran Al-Hakeem = Tafseer Almanaar" . (Egypt, Alhaiah Almisriyah Al'aama lil Kitaab, 1990).
Az-Zabeedi, Muhammad bun Muhammad. "Taaj Al-Arous min Jawahirr Al-Qaamous". (Beirut, Darr Al-Fikr).
Ibn Az-Zubai Al-Gharnaati, Ahmad bun Ibrahim. "Malaak At-Taaweel Al-Qati' be zawi Al-Ilhaad wa At-Ta'teel fee Tawjeeh Al-Mutashabih Al-Lafz min A'yi At-Tanzeel" its footnotes written by : Abdul Al-Ghani Muhammad Al-Faasi. (Beirut, Darr Al-Kutub Al-Ilmia).
Az-Zarkashi, Muhammad bun Abdillah. "Al-Burhaan fee Uloum Al-Quran". Investigated by: Muahammad Abul Fadl Ibrahim. (Beirut, Darr Iyhaa At-Turath Al-Arabi, 1367 AH, 1957).
Az-Zamakhshari, Mahmoud bun Umar. "Al-Kashaff ann Haqaaiq Ghawaamid At-Tanzeel, wa Uyoun Al-Aqaaweel fee Wujooh At-Taaweel". (Darr Alkitaab Al-Arabi, Beirut, 1407 AH).
Ibn Abi Zamanain. "Tafseer Al-Quran Al-Azeez". Investigated by: Abu Abdillah Hussain bin Ukhasha, Muhammad bun Mustapha Al-Kanz. (Cairo, Darr Al-Farouq Al-Hadeetha, 1423 Ah, 2002).
Abu Zahra, Muhammad. "Al-Mu'jizat Al-Kubraa Al-Quran". (Beirut Darr Al-Fikr Al-Arabi).
As-Sa'di, Abdurrahman bin Nasirr. "Taiseer Al-Kareem Ar-Rahmaan fee Tafseer Al-Kalaam Al-Mannaan". Investigated by: Abdurrahmann bin Ma'laa Al-Luwaihiq. (Beirut, Muassat Ar-Risaalah, 1422 AH, 2002).
As-Samarqandi, Nasr bun Muhammad. "Bahr Al-Uloum". Investigated by: Sheikh Ali Muhammad Iwad and others, (Beirut, Darr Alkutub Al-Ilmia, 1413 AH, 1993).
As-Sam'ani, Mansour bun Muhammad. "Tafseer Al-Quran". Investigated by: Yasirr bun Ibrahim and Ghanim bun Abbas. (1st edt. Darr Al-Watann, 1481 AH, 1997).
As-Sameen Al-Halabi, Ahmad bun Yusuff. "Ad-Durr Al-Masoun fee Uloum Al-Kitaab Al-Maknoun". Investigated by: Dr. Ahmad Muhammad Al-Kharraat. (Damascus, Darr Al-Qalam).
Sayyid Qutub. "Fee Zilaal Al-Quran". (17th edt. Beirut, Cairo, Darr As-Shrouq, 1412 AH).
As-Shawkani, "Fath Al-Qadeer Al-Jaam'i li fanai Ar-Riwaaya wa Ad-Diraaya min Ilm At-Tafseer". (1st edt. Beirut, Darr Al-Kutub Al-Ilmia, 1413 AH, 1993).
Ibn Abi Talib, Maki. "Al-Hidayat ilaa Bulough An-Nihaaya fee Ilm Ma'ani Al-Qura'n wa Tafseerihi wa Ahkaamih, wa Jumalunn min Funouni Uloumih". Investigation : A collection of university projects (thesis) at the department for post graduate and academic researches, Sharjah, Sharjah University, 1429 AH, 2008).
At-Taaliqaani, Ismail bun Abbaad. "Al-Amthaal As-Saairah fee Si'rr Al-Mutanabbi". Investigated by: Muhammad A'la Yassin. (Baghdad, Darr An-Nahda, 1385 AH, 1965).
At-Tabari, Muhammad bun Jareer. "Jaami' Al-Bayaan fee Taaweel Al-Quran". Investigated by: Ahmad Shaakirr. (Beirut, Muassat Ar-Risaala 1420 AH,

2000).

Ibn A'dil, Umar bun Ali. "Al-Lubaab fee Uloum Al-Kitaab". Investigated by: A'dil Ahmad Abdil Mawjoud. (Beirut, darr Alkutub Al-Ilmia, 1419 AH, 1998).

Ibn A'shour, Muhammad At-Tahirr bun Muhammad. "At-Tahreer wa At-Tanweer". (Tunisia, Darr At-Tunis, 1984).

Ibn Attiya. "Al-Muhararr Al-Wajeez fee Tafseer Al-Kitaab Al-Azeez". Investigated by: Abd As-Salaam Abd As-Shaafi Muhammad. (1st edt. Beirut, Darr Al-Kutub Al-Ilmia, 1422 AH).

Al-Imaadi, Abu Sa'oud Muhammad bun Muammad. "Irshaad Al'aql As-Saleem ilaa Mazaaya Al-Kitaab Al-Kareem". (Beirut, Darr Ihyaa At-Turath Al-Arabi).

Ibn Fawrak, Muhammad bun Al-Hassan. "Tafseer ibn Fawrak". Investigated by: A'laal Abd Al-Qadirr bandawish. (Makka, Ummul Quraa University, a Masters degree thesis, 1430 AH, 2009).

Al-Fairouz Abaadi, Muhammad bun Yaqub. "Basaair zawi At-Tamyeez fee Lataaif Al-Kitaab Al-Azeez". Investigated by: Muhammad bun Ali An-Najjaar. (Cairo, The Higher Council for Islamic Affairs, 1416 AH, 1996).

Al-Qahtani, Dr. Sa'eed bun Ali. "Mafhoum Al-Hikmah fee Ad-Da'wa ilal Laah – Ta'ala – alaa Daww Al-Kitaab wa As-Sunnah". (Riyadh, Muassat Al-Jarisi).

Al-Qurtubi, Muhammad bun Ahmad. "Al-Jaami' li Ahkaam Al-Quran". Investigated by: Ahmad Al-Barduni and Ibrahim Atfish. (2nd edt. Cairo, Darr Alkutub Al-Masriya, 1384 AH, 1964).

Al-Qazwini, Muhammad bun Abdurrahman. "Al-Idaah fee Uloum Al-Balaagha". Investigated by: Muhammad bun Abdil Mun'im Khafaji. (3rd edt. Beirut, Darr Al-Jeel).

Al-Qusheiri, Abdul Kareem bin Hawazaan. "Lataaif Al-Isharaat" Investigated by Ibrahim Al-Bisyouni. (3rd edt. Egypyt. Epytian general body for books).

Al-Qanuji, Muhammad Sadiq Khan. "Fath Al-Bayaan fee Maqaasid Al-Qur'an". Took cared of its publication by: Abdullah bin Ibrahim Al-Ansaari. "Sidaa, Beirut, Al-Maktabat Al-Asriyah, 1412 AH, 1993).

Ibn Al-Qayyim Al-Jawyiyah. Muhammad bun Abibakr. "Al-Fawaaid Al-Mashouq ilaa Ilm Al-Quran wa Ilm Al-Bayaan". (Cairo, Maktabat Al-Quran A'bideen, 1994).

Kahi,l Warda Mustapha. "As-Suaal fee Daww Al-Quran Al-Kareem" (an objective study). (Al-Madinah Al-Munawara, Islamic University. Gaza, college of Riligion foundamentals, Tafseer ana Quranic science department. A master's thesis in Tafseer ana Quranic science. 1430 AH, 2009)

Al-Karamani, Abu Al-Qasim Mahmoud bun Hamza. "Asraar At-Tikraar fil Quran Al-Musamma Al-Burhaan fee Tawjeeh Mutashaabih Al-Quran limaa feehi minal Hujjati wal Bayaan" Investigated by: Abdul Qadirr Ahmad Ataa. (Cairo, Darr Al-I'tishaam, 1396 AH).

Al-Maturidi, Muhammad bun Muhammad. "Taaweelaat Ahl As-Sunnah". Investigated by: Majdi Basloum. (Beirut, Darr Al-Kutub Al-Ilmia, 1426 AH, 2005).

Matloub, Dr. Ahmad. "Mu'jam Al-Mustalahaat Al-Balaaghiya wa Tatawurihaa". (Beirut, Makatabat Lebanon, 2000).

Ibn Ma'soum, Ali bin Ahmad. " Anwaar Ar-Rabee' fee Anwaa' Al-Badee' ".

Investigated by: Shakirr Hadi Shukr. (1st edt. An-Najf, An-Nu'man printings 1388 AH, 1968).

Ibn Manzour, Muhammad bun Mukrim. "Lisaan Al'Arab". (3rd edt. Beirut, Darr Sadirr).

An-Najdi, Muhammad bun Abdil Wahaab. "Tafseer Ayaat min Al-Quran Al-Kareem". (Printed amongst the writings of Sheikh Muhammad bun abdil Wahaab. Volume 5). Investigated by: Dr. Muhammad Biltaji. (Riyadh, Imam Muhammad bun Saud's University).

An-Nasafi, Abdilaah bin Ahmad. "Madaarik At-Tanzeel wa Haqaaiq At-Taaweel". Investigated by: Marrwan Muhammad As-Sha'arr. (Beirut, Darr An-Nafaais, 2005).

An-Naisaaburi, Al-Hasaan bun Muhammad. "Gharaaib Al-Quran wa Raghaaib Al-Furqaan". Sheikh Zakariya Umairaat. (Beirut, Darr Al-Kutub Al-Ilmia, 1416 AH).